الحقائق الإسلامية

في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف
الحاج مالك به ابن الشيخ داود

دار الحرمين الشريفين العالمية
القاهرة

الحقائق الإسلامية

في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تأليف
الحاج مالك بن الشيخ داود

دار الحرمين الشريفين العالمية
القاهرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء الكتاب

إلى حضرة المجاهد الأكبر ، المنهض حاله،والدال على الله مقاله، سيدي ومولاي الحاج عبد العزيز سه. خليفة المسلمين وخادم الحضرة الأحمدية في افريقية الغربية.

إنني أتشرف بإهدائكم هذه المؤلفة المتواضعة،تقديراً لمساعيكم الحميدة، ومجهوداتكم الجبارة التي ما برحتم تبذلونها لصالح الاسلام والمسلمين . ويسعدنا ان نؤكد في هذه السطور ما لفضيلتكم من أيادٍ بيضاء، ومواقف غرّاء ، في مختلف القضايا الاسلامية منها والوطنية . لقدْ كنتم - يا فضيلة الشيخ - السند الأقوى والقدوى الحسنى لأبناء هذه الأمة المسلمة، وقمتم خير قيام لتحقيق التضامن وإصلاح ذات البين في ظروف يكاد التعصب بين الطرق الصوفية ، والمذاهب الفروعية ، يمزّق شمل الأمة ويوهن قوتها أو يقضي عليها بالكلّية .

ولكِن لحسن الحظ، وبفضل ما أوتيتُم به من الحكمة وفَصْلِ الخطاب، استطعتم ان تُفْهموا كل مَن يفهم القول بأن الطرق والمذاهب مهما تعددت وتخالفت في الأشكال والنظم ، فإنها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة، وهي توجيه العباد إلى معالم العبادات، وجعلهم أمة متحدة ذات هدف وشعور مشتركين، وقد تحقق بحمد الله تعالى في عهدكم الزاهر الشيء الكثير من

تلك الأهداف الغالية . فنسأل الله العلي القدير ان يجعل سعيكم مشكوراً وجزاءكم موفوراً إنه تعالى لا يُضيع أجر المحسنين.

إنها محاولة كانت ولابد من ان نكتبها بمقتضى القضاء والقدر، فلولا ذلك لما ظهرت إلى الوجود لضعف مستويينا الثقافي والتعبيري، ولأن الكتابة تحتاج أيضاً إلى مزيد من الآلات غير المداد والقلم . فلسنا متزودين بتلك الآلات التي هي معرفة اساليب الانشاء ، وقواعد التركيب والترتيب. ولسنا كذلك من عارفي التصنيف، ولا آلفي التأليف . ولكنا سلكنا مسالك غيرنا ، وتحملنا بها الا حول لنا به ولا قوة . والحق ان سلوكنا وتحمّلنا بهذا وذاك، إنما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض النصيحة لعامة المسلمين . والرسول ﷺ يقول : (الدين النصيحة).

هذا ولم يكن ليخطر ببالي ان اكتب مثل هذه الرسالة، إلّا بعد ان جالست بعض الوهّابيين عدة مرات، وناقشت معهم شتّى الموضوعات الدينية .

اضف إلى ذلك ما رأيته في الكتب من مؤلفاتهم ، وما استمعت إليه من محاضراتهم وندواتهم، فظهر لي ما يُسرّونه لغيرهم وما يعلنون . ووجدتني - والحال هذه - مضطراً للدفاع عن المظلومين، وان أكف أيدي المعتدين عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ {الشورى : ٤١}.

وقوله ﷺ : (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).

هذا ويمكن التحقيق من أن الهدف الوحيد والغرض الرئيسي من تأليف هذا الكتاب، هو بث الحقائق الاسلامية ، وتخليص ذوي الافهام المنحرفة من ورطة الإفراط والتفريط لا غير . ولست أقصد من وراء هذا العمل إلا الشفقة علىَ الاخوان المسلمين، علماً بأن انتقاد أولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة ـ والعياذ بالله! ـ وليس لي أي غرض إلى شن الهجوم ضد الوهابيين أو التعدي عليهم بالظلم والعدوان. كلّا! وحاشا!.

ولكني في الواقع إنما أخاطبهم بلسان النصيحة، وأُذكِّرهم – إن نفعت الذكرى – بأن دعوتهم هذه، وان كانت في البداية لأجل نصرة دين الله الحنيف، قد صارت اليوم – ويا للأسف – حجرة عثرة في طريق الأخوّة الاسلامية، أو شبع جمرة تحركها يد الشيطان فترمي بشرر العداوة بين المسلمين من جهة ، وبين ذوي الأرحام من جهة أخرى .

***

أو بعبارة أخرى، كَكُرة تتقاذفها الأهواء بين فِرَقٍ من الجهّال وأفراد ممن يسمّون أنفسهم (سنيين)، على الرغم من تجاهلهم وتهاونهم بمعنويات السنة ومقتضياتها هذا، وقد التزمت من نفسي وحاذرت كل الحذر حرصاً على توفير العدالة المنطقية ، ونظراً إلى أن-الحق أحقّ أن يُتّبَعَ – إلتزمت ان لا أكتب في هذه المؤلفة غير الواقع المشهود ، استناداً على الحق وخوفاً من أن أكون كالناقد المتطرف الذي يعتمد فيما يكتب أو يقول: على القيل والقال. أو على الرجم بالغيب ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ {يوسف ٨١}.

هذا وأملي كبير في أن يطالع هذه السطور آذان واعية ونفوس مستعدة

لقبول الحق أياً كان مصدره .

ولله در القائل : (أنظر لمعنى القول لا للقائل والحق مقبول ولو من جاهل) وسميتها بالحقائق الاسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية.

ثم أني اعتذر مرة أخرى لكل من اطلع عليها من النُّجاة وذوي الثقافة بأني لا أملك غير حسن الظن بالله وهو المسؤول بأن يتمم لي المقصود. ويجعلها مقبولة لديه ، خالصة لوجهه الكريم ، نافعة لمن اطلع عليها إنه ولي التوفيق والهادي بمنّه إلى الصراط المستقيم .

الحاج مالك به

نزيل مدينة «كوتيالا» جمهورية «مالي»

الوهابية ومَنْعُها التوسل بالأنبياء والصالحين

قبل الشروع في تفاصيل هذا الموضوع، والبحث عن أحكامه وأهدافه، يجب أن نعرف أولاً أنه هو الموضوع الرئيسي الذي يمثّل جوهر المشكلة ولبَّ الخلاف بين الوهابيين المتطرفين والمسلمين المعتدلين . ذلك لأن الوهابيين يمنعون التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين، ويبالغون في نفيه وإنكاره، بل ويحرمونه اطلاقاً ويزعمون أنه من الشرك بالله .

ويحملون جميع الآيات القرآنية النازلة في المشركين ومن يعبدون الأصنام على المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والصالحين فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ {الأحقاف: ٥}.

وقوله جلَّ شأنه : ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ { الجن : ١٨}.

وقوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ {يونس : ١٠٦}.

ويزعمون أن كل من استغاث بالنبي ﷺ أو توسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، أو ناداهم، أو سألهم الشفاعة يكون معدوداً في جملة هؤلاء المشركين وداخلاً في عموم وعيد هذه الآيات وهو عندهم بمنزلة من يعبد الأصنام، ويتخذ من دون الله شركاءَ. ومن هنا ثارت ثائرة العداوة والخلافات، وقامت القيامة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم بصفة لا يمكن تسويتها، طالما يُصِرُّ الوهابيون على هذا الموقف المتطرف المتمثل في تضليل الأمة أو تكفيرها، والمتعارض مع نصوص الكتاب والسنة، والاجماع .

والوهابيون – في هذا التأويل البعيد – معذورون من حيث الخطأ في فهم معنى كلمة «الدعاء» التي تأتي حيناً بمعنى العبادة، وأحياناً بمعنى النداء، وظنوا أن هذه الكلمة في جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء لا غير . ولذلك يحرِّمون نداء غير الله، كما تحرم العبادة من دونه تعالى .

وحيث ذهبوا هذا المذهب، ووقفوا عند هذا الحد، فهم مقصِّرون عن ادراك كنه هذا الكلمة لغةً واصلاحاً، فيجب أن نُعْذِرَ لهم أو نُنْذِرَهُم. وكلمة الدعاء في اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معان :

منها : العبادة كقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ {الجن : ١٨}.

ومنها: النسبة كقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ {الأحزاب: ٥}. أي انسبوهم إليهم .

ومنها : النداء كقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ {البقرة: ٢٣}. أي نادوهم.

ومنها : السؤال كقوله تعالى : ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ {غافر: ٦٠ }أي إسألوني.

ومنها الدعوى الى الشيء كقوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾{ النحل: ١٢٥}.

ومنها التمني كقوله : تعالى : ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ {يس : ٧٥}.

ومنها القول كقوله تعالى: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾{يونس: ١٠}.

ومنها : التسمية كقوله تعالى :﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ {النور :٦٣}.

وليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية أن كلمة الدعاء تأتي بمعنى التوسل، وقد تحقق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغة وشرعاً.

ولا سبيل إذا إلى تكفير المسلمين المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات الفاسدة فتأمل .

وكلمة «الدعاء» في جميع هذه الآيات الآنفة الذكر وما أشبهها معناها العبادة لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الانسان حياً أو ميتاً جائز شرعاً وضروري أيضاً لتعلقه بالحوائج الشرعية والمعاملات الدينية والدنيوية، وقد جاء نداء الأموات من الأحاديث الواردة في زيارة القبور كقول الزائر: (السلام عليكم يا أهلَ القبور السلام عليكم أهلَ الديار من المؤمنين وإنا انشاء الله بكم لاحقون)، ففي هذا النداء للأموات خطابهم . وإنما يجب ان نميّز بين كلمة «الدعاء» التي بمعنى العبادة وتلك التي بمعنى النداء ، كي لا نَضِلّ ولا نُضِلّ ...

أما التوسل فجائز شرعاً ومرغوب فيه أيضاً، لأنه من فعل الأنبياء والسلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد توسل أبونا آدم بسيدنا محمد ﷺ كما في الحديث : (لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال يا رب إنك لمّا خلقتني رفعت رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً «لا اله إلا الله محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تُضفْ إسمك إلا إلى أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأَحبَ الخلق إليّ وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك) رواه الحاكم وصحّحه الطبراني .

وإلى هذا الحديث أشار الامام مالك رضي الله عنه للخليفة المنصور لمّا سأله

وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك: يا أبا عبد الله، أَستقْبِلُ القبلة وأدعو أم أَستقبلُ رسولَ الله ﷺ وأدعو؟ فقال له الامام مالك رضي الله عنه: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى، بلَ استقبل واستشفع به فَيُشَفِّعه الله فيك ...

وأما صدور التوسل من النبي ﷺ فقد صح في أحاديث كثيرة منها قوله: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك). وصح عنه ﷺ أنه لمّا ماتت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما أَلْحَدَهَا ﷺ في القبر بيده الشريفة وقال: (اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسِّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم الراحمين).

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله في حياته وبعد وفاته ﷺ. وقد روى البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح: أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه، فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه إلى القبر الشريف وكان من أصحاب النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، استُسْقِ لأُمتك فإنهم هلكوا، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام وأخبره أنهم يُسْقَوْنَ وكان كذلك.

فإتيان هذا الصحابي الجليل إلى القبر الشريف ونداءه للرسول ﷺ ليطلب منه أن يَسْتَسْقي لِأمتَّه دليل آخر على أنه جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به ﷺ، وذلك من أعظم القُرُبات. وَرُويَ عن أنس ابن مالك ان عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال:

«اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» قال فيُسْقَون انتهى. وفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حجة على التحقيق لقوله ﷺ في حقه : (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه). ومما ذُكِرَ في هذا الباب دليل على أن التوسل بالأموات وخاصة عند أضرحتهم جائز لفعل بلال بن الحارث رضي الله عنه ذلك، عند القبر الشريف .

وكذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضاً، لموافقته بفعل عمر بن الخطاب. الذي توسل إلى الله بسيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ...

ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير، وفيها: أن سواد بن قارب أنشد رسول الله ﷺ قصيدة قال فيها:

وأشهد أن الله لا ربَّ غيره ... وأنك أدنى المرسَلين وسيلةً

وأنك مأمون على كل غائب ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... بِمُغْنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله قوله: أدنى المرسلين وسيلة، ولا قوله: وكن لي شفيعاً

وكذلك من أدلة التوسل مرثية صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمة

رسول الله ﷺ. فإنها رثته بعد وفاته ﷺ بأبيات قالت فيها :

«ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا ... وكـنت بنا بَراً ولم تك جـافيا»

ففيها النداء له بعد وفاته، ولم ينكر عليها أحد من الصحابة قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا. وقد ذكر العلّامة ابن حجر[1] في كتابه المسمى بالخيرات الحسان أن الإمام الشافعي كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. وقد ثبت أيضاً ان الامام أحمد ابن حنبل كان يتوسل بالإمام الشافعي، وقد صح أن الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي بأبيات قال فيها :

آل النبـي ذريعتـي ... أرجـو بهم أُعْطىٰ غـدا

وهم إليـه وسـيلتـي ... بيدي اليمين صحيفتـي

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله ﷺ، وبعضها عن أصحابه الكرام، وعن الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وليس في ذلك كفر ولا اشراك، ومن تتبّع أذكار السلف الصالحين وأدعيتَهم وأورادَهم، وجد فيها شيئاً كثيراً من التوسل ولم ينكر عليهم أحد في ذلك، حتى جاء هؤلاء المنكرون الذين عمدوا إلى تحريمه وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأئمة من العلماء والعبّاد والزهّاد وقالوا إنهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ {الزمر:٣}.

---

(١) شهاب الدين أحمد بن محمد المكي الشافعي المتوفى سنة : ٩٧٤.

«سبحانك هذا بهتان عظيم !»

وحاصل شبهة هولاء المانعين للتوسل، أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الأولياء – أحياءً وأمواتاً – أشياء جرت العادة بأنها لا تُطلب إلا من الله تعالى، ويقولون للولي مثلاً : افعل لي كذا وكذا، أو نجّني من كذا وكذا، فأراد هؤلاء المانعون للتوسل ان يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للايهام وسداً للذريعة.

نعم نحن نوافق هؤلاء المانعين في ناحية، ونؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة، ونقف بجانبهم في سد ذرائع الفساد ودفع الإِيهام. ولكن من ناحية أخرى نقول لهم :

إذا كان الأمر كذلك، وقصدكم سد الذريعة، فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من تلك الألفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل، دون تكفيرهم أو إشراكهم، مع أن تلك الألفاظ يجب حملها على المجاز العقلي وهو جائز ومستعمل على ألسنة جميع المسلمين، ووارد في الكتاب العزيز والسنَّة المطهرة. ألا ترى أنه يجوز لأحدِنا أن يقول: أعطاني فلان كذا ومنعني فلان عن كذا، أو نفعني زيد أو ضرَّني عمرو، مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الضار والنافع، وهو المعطي والمانع فإسناد هذه الأفعال إلى غير الله تعالى يعتبر مجازاً عقلياً لا يؤدي بقائله إلى الكفر ولا إلى الشرك، وله شواهد كثيرة في الكتاب والسنة .

منها قوله تعالى : ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ {طه : ٨٥}.

وقوله :﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ {البقرة:٢٥١}.

فإسناد الاضلال والقتل هنا إلى السامري وإلى داود مجازي . ولأن الله تعالى وحده هو المضل والمميت على الحقيقة. وجاء في الحديث كما في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة (بينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ) فإسناد الاستغاثة إلى هؤلاء الأنبياء مجازي، والمستغاثُ به حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كلها أدلة ثابتة وبراهين قاطعة لجواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين . وفيها الكفاية لمن أراد الله له الهداية والتوفيق، وأما من انطمست بصيرته وانسدت حواسه فما تغني الآيات والنذر ولا يفيده الوعظ والتذكير.

ونحن في توسلنا بالأنبياء والأولياء، لا تعتقد أنهم يستحقون العبادة، ولا أنهم يخلقون شيئاً أو يملكون ضراً أو نفعاً، ولا نعتقد أن لهم تأثيراً في شيء من الأشياء، وكل ما بيننا وبين الأولياء إنما هو احترام فقط غير خارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجود من العدم والعائد إلى الفناء، لا كتعظيم الخالق المعبود الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد . فنداؤنا بهم لا يعني سوى التبرك بأسمائهم، والاستئناس بذكرهم لكونهم عباداً مكرمين، اصطفاهم الله وهداهم، وخصّهم بحظوة من عنايته الربانية، وفيضة من نفحاته الرحمانية ،

فبذكرهم تتنزل الرحمات. وبه تحيي القلوب وتنشط العضلات.

وهذه هي غاية ما نقصد في التوسل بالأولياء والصالحين، وليس فينا من يركع أو يسجد لنبي، أو لولي، أو لشيخ ! ولكننا لا نعبد إلا الله ولا ندعو إلّا إياه وفي الحديث:

(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى). ونحن نحمد الله تعالى من المؤمنين الموحِّدين بكل ما للكلمة من معنى.

فالتوحيد عقيدتنا، والعمل به شريعتنا، فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نستهين بشريعتنا. ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ {يوسف : ٣٨}.

أما أولئك الوهّابيون الذين يتظاهرون بالذَّب عن التوحيد، ويُجَوِّزون التوسل بالأحياء والاستعانة بهم في أمر من الأمور الدنيوية، ويحرِّمون ذلك في الأموات، قد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات، مع أنه لا تأثير لأحد في الحقيقة حياً كان أو ميتاً، وإنما المؤثر الحقيقي هو الله تعالى وحده...

فلينتبه الوهابيون لهذه الحقائق، وليعلموا أن ليس في هذه التوسلات ما يستلزم تكفير المسلم، الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولمزيد من التوضيح في هذا الموضوع، فإن منكري التوسل بالأنبياء والصالحين قد لا ينكرون على مناسك الحج التي

فرضها الله علينا والتي من بينها : الطواف بالبيت العتيق، وتقبيل الحجر الأسود، والسعي بين الصفا والمَرْوَة والوقوف بعرفات .

ومعلوم أن هذه الأشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع، ولكن قد شرّفها الله تعالى وعظّمها، وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها، والدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية والأخروية .

ونحن نعلم علم اليقين، بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الأقدار، ولكن هل يقال:إن من قَصَدَها أو تضرّع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا ! وكلّا!.

فإذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته، فكيف بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الأنام، فعند ذكرهم تتنزل الرحمات، وبسبب وجودهم تُرْفَعُ النقمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه العزم، وهو ان نداء الأنبياء أو الأولياء نوع من أنواع الشرك، لأنه نداء لغير الله. ويقولون بأن ظاهر النداء لابد وأن يدل على أن المنادي يعتقد من المنادى القدرة أو التأثير . وحينئذ فاعتقاد القدرة أو التأثير لأحد غير الله تعالى شرك لا محالة .

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوهامهم التي خالفوا بها الاجماع ولكن لو سلّمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف

فرضها الله علينا والتي من بينها : الطواف بالبيت العتيق، وتقبيل الحجر الأسود، والسعي بين الصفا والمَرْوَة والوقوف بعرفات .

ومعلوم أن هذه الأشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع، ولكن قد شرّفها الله تعالى وعظّمها، وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها، والدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية والأخروية .

ونحن نعلم علم اليقين، بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الأقدار، ولكن هل يقال:إن من قَصَدَها أو تضرَّع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا ! وكلّا!.

فإذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته، فكيف بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الأنام، فعند ذكرهم تتنزل الرحمات، وبسبب وجودهم تُرْفَعُ النقمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه العزم، وهو ان نداء الأنبياء أو الأولياء نوع من أنواع الشرك، لأنه نداء لغير الله. ويقولون بأن ظاهر النداء لابد وأن يدل على أن المنادي يعتقد من المنادى القدرة أو التأثير . وحينئذ فاعتقاد القدرة أو التأثير لأحد غير الله تعالى شرك لا محالة .

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوهامهم التي خالفوا بها الاجماع ولكن لو سلّمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف

نجد أن ظاهر الصلاة والصيام والنطق بالشهادتين يدل هو أيضاً على الإيمان بالله والتصديق بما جاء بعد الرسول الكريم.

وإذن فما بال هؤلاء الوهابيين الذين قرروا أن يكفّروا المسلمين بظاهر النداء، وقد عجزوا أن يعترفوا بإسلامهم بظاهر الصلاة و الصوم والنطق بالشهادتين . فهل هذا – ان صح التعبير – إلا نوع من الجمود. أثر من آثار الجهل الذي هو أشد من الكفر...

وخلاصة الكلام : فإن المحظور شرعاً في التوسل، هو اعتقاد التأثير من أحد غير الله تعالى كائناً من كان، وهو شرك اتفاقاً سواء كان ذلك الاعتقاد في نبي أو ولي أو صالح أو حيوان أو جماد أو في أي شيء آخر وأما من لم يعتقد التأثير في أحد غير الله تعالى فلا إثم عليه، وليس في مجرد التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ضرر مادام الاعتقاد سالماً.

أما محبة أولياء الله تعالى والصالحين، وصحبتهم لله، والتصدي لخدمتهم، والتأدب لهم والتبرك بهم، فكلها جائز لا يمنعها الشرع بل يأمر بها ويحثّ عليها، لأنها من أعمال البر الموجبة للفوز والسعادة في الدارَيْن . ولا ينكر ذلك منكر، لثبوتها بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة.

وأصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها في القرآن الكريم... وإن شئت فاقرأ قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف:٩].

فإن هذا الكلب لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين ومحبتهم لقد حسن من قال :

واختر من الاخوان كل مهتد   وصحبة الاخيار للقلب دوا

إن القرين بالقرين يقتدي   تزيد من المرء نشاطاً وقوى

واخيراً نختم هذا الموضوع بتحذير أولئك الذين يكفِّرون المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والصالحين ان يكفوا عن ذلك، لأنه قد يفضي بهم الى ارتكاب الذنوب، ويؤدي إلى تكفيرهم لجميع الأمة أو أكثرها وهو مستحيل لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠].

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (لا تجتمع أمتي على ضلالة) حديث شريف أخرجه الترمذي.

ما هو الشرك؟ وكم انواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه ان هناك أحداً يستحق العبادة من دون الله تعالى، أو هناك من يشارك الله في الالوهية أو يساعده في الإيجاد والتأثير. ومن الشرك أيضاً الاعتقاد بقلبه ان هناك من يملك لنفسه أو لغيره جلب المنافع أو دفع المضار، أو هناك من يمكن له التصرف في الأمور أو التأثير في الكائنات من تلقاء نفسه .

ومهما اعتقد المرء شيئاً من هذه المذكورات في واحد من المخلوقات،

سواء اعتقدها في نبي أو في ولي أو في شيخ أو في حيوان أو في جماد كان مشركاً حقاً بالاجماع.

لأن المخلوقات كلها على اختلاف أشكالها وتنوُّع اجناسها لا تستحق العبادة مطلقاً، وهي لا تملك جَلْب المنافع ولا دفع المضار، ولا قدرة لها على التأثير في حد ذاتها، فاعتقاد ذلك على أي مخلوق، آدمي كان أو غيره هو الشرك الأكبر وهو الكفر الصريح.

هذا وليس من المستحيل ولا من الغريب، أن يقع بعض الناس غير المعصومين في أودية الكفر والضلال، بينما ينهمك البعض الثاني في المعاصي والمنكرات حين يتقيد البعض الآخر بالشريعة الاسلامية والسنَّة الغرّاء.

ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة والظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم، لأن الله تعالى قد خلق الناس وهم مختلفون في الذكاء والغباوة، والضعف والقوة، ومتفاوتون في الجهل والمعرفة، والاجتهاد والتقصير، وتبعاً لهذا الاختلاف الطبيعي والتفاوت الفطري، فمنهم من يقترب من الاسلام إلى حد مرضي عنه، بحيث يطيع الأوامر ويجتنب النواهي، ومنهم من يبتعد عنه وينحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل فرد وطبيعته، وإلى تلك المراتب المتفاوتة اشار القرآن الكريم بقوله :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٣٢].

ولكن هذا الابتعاد، لا يخرج المسلم المقصّر عن دائرة الاسلام، ما

دام يدين بالولاء لهذا الدين الحنيف، وينتسب إليه، فإذا صدر من المسلم بعض الأقوال أو التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر، وهو لم يُرِدْ بها تغيير إسلامه، ولا ارتداداً عن دينه، فلا يُحْكم عليه بالكفر ولا بالردة، ومهما تورط المسلم في المآثم، واقترف من جرائم، فهو مسلم، لا يجوز اتهامه بالردة أو الكفر.

وقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: (من شهد أن لا إلّه إلا الله، واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم). وقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين من أن يقذف بعضهم بعضاً بالكفر لعِظَم خطر هذه الجناية.

وقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر: (اذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء به أحدهما). ولا يُعْتَبَرُ المسلم خارجاً عن الاسلام ولا يُحْكَم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر، واطمأن به قلبه، ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦].

ويقول الرسول ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى).

ومذهب أهل السنة والجماعة التحاشي عن تكفير كل من انتسب للاسلام، حتى أنهم كانوا يكفّون عن تكفير أئمة أهل البِدَع مع الأمر بقتلهم وذلك دفعاً لضررهم لا لكفرهم.

هذا ولمّا كان ما في القلب غيباً من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله

تعالى وحده،كان ولا بد من الكف عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدلّ على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل .

وقد نُسِبَ إلى الامام مالك رحمه الله أنه قال : من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمِلَ امره على الإيمان .

فالشرك هو الكفر باللفظ والمعنى، وبالجملة والتفصيل، وهما ضد التوحيد المقرر في أصل الأديان السماوية عامة .

ومن أصل هذا الدين الاسلامي خاصة بشهادة الله في كتابه العزيز حيث يقول تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ١٨].

فالمشرك بالله هو الكافر به، الجاحد بوحدانيته، المكذّب بالأنبياء والرسل وبما جاؤا به من عند الله من الدين والشرائع، وهو أعظم أنواع الضلالة وأشدها على الله، وفيه من الوعيد ما ليس في غيره من جميع المعاصي. لقد صرح القرآن الكريم ونبّه في عدة آيات عن خطورة الشرك وحذر من ارتكابه معلناً بأن الشرك لظلم عظيم .

وقال جل من قائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال مخاطباً حبيبه المصطفى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

وهذه الآيات القرآنية وأمثالها الكثيرة في كتاب الله العزيز، لا تترك مجالاً للشك في أن الشرك عظيم وخيم العواقب.

هذا وينقسم الشرك إلى ستة أنواع .

شرك الاستقلال: وهو اثبات آلهين مستقلّين كشرك المجوس.

شرك التبعيض: وهو تركيب الآلة من عدة آلهة كشرك النصارى.

شرك التقريب: وهو عبادة غير الله تعالى ليقرّبه إلى الله زُلفى كشرك مقدمي الجاهلية.

شرك التقليد: وهو عبادة غير الله تبعاً للغير، كشرك متأخري الجاهلية.

شرك الاسباب: وهو اسناد التأثير للاسباب العادية، كشرك الفلاسفة والطبيعيين ومن تبعهم على ذلك .

شرك الإعراض: وهو العمل لغير الله تعالى كالرياء، لقوله عليه الصلاة والسلام: (الرياء هو الشرك الأصغر) «أخرجه أحمد».

فحكم الاربعة الأولى الكفر بالاجماع وحكم السادس المعصية من

غير كفر بالاجماع. وحكم الخامس فيه التفصيل:

فمن اعتقد في الاسباب انها تؤثر بطبعها فهو كافر بالاجماع، ومن اعتقد انها تؤثر بقوة أودعها الله فيها ، وانها اسباب عادية فقط. وقد تتخلف عن مسبباتها في بعض الاحيان، والمؤثر في الاشياء حقيقة هو الله تعالى وحده فهو مسلم بالاجماع.

وعلى هذا فإن الشرك في الدين الاسلامي ضربان:

أحدهما الشرك الجليّ ، وهو الإشراك في العبودية، وذلك اعظم الكفر نعوذ بالله منه .

والثاني : الشرك الخفي، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور كأعمال المُرَائين، وقد ورد في الحديث النبوي : (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفاء) ويعني بذلك «الرياء» لقوله عليه السلام في حديث آخر : (الرياء هو الشرك الأصغر) رواه أحمد.

فهذا الشرك المذكور الحاصل بالرياء، لا يخرج المسلم عن دائرة الاسلام ، وإنما يحبطُ الأعمال فقط، كما وقع عليه الاجماع. وقد قال رسول الله ﷺ : (من عمل عملاً أشرك فيه غير الله فعمله مردود عليه).

وأما الكفر، فهو أيضاً على أربعة أقسام : كفر الإنكار وذلك بأن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجُحود، وكفر المعاندة، وكفر النفاق، فمن لقي ربه بواحدة من هذه لم يُغْفَر له. ويغفر الله ما دون ذلك

لمن يشاء.

فأما كفر الانكار، فهو ان يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد والعبادات .

وأما كفر الجحود، فهو ان يعترف بقلبه ولا يقرّ بلسانه، ككفر ابليس وجنوده من شياطين الأنس والجن .

وأما كفر المعاندة، فهو ان يعرف الله بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يدين به ككفر ابي جهل وأضْرابه.

وأما كفر النفاق، فهو الاقرار باللسان وعدم الاعتقاد في القلب، كالمنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ومن تبعهم على ذلك إلى يوم القيامة.

والكفر – على وجه التحديد – إنما يكون بانكار الضروريات من الدين الاسلامي، كانكار وجود الباري ووحدانيته وانكار رسالة محمد ﷺ أو رسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام، أو بانكار الفرائض كوجوب الصلاة،أو بانكار واحدة من القواعد الاسلامية الخمسة التي بنى عليها الاسلام .

الوهابية وانكارها للبِدَع مطلقاً

يغتنم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين وتوجيه انتقادات حادة لهم وخارجة عن الموضوع، ويحاربونهم بشتى الطرق والوسائل.

فمن ذلك القاؤهم على المسلمين شبهات للتلبيس عليهم دينهم، وتشويش عقائدهم، ويحاولون إحباط أعمالهم، وطردهم عن حظيرة الاسلام وإبعادهم عن حدود السنّة.

وهاهم ايضاً ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز انكاره منها وما لا يجوز انكاره، ويحتجون بالحديث القائل: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) رواه أبو داود.

وقد ساقهم ظاهر هذا القول إلى تكفير جماعة من المسلمين، وذم كثير من الابرياء، ولو أنهم فهموا معنى الحديث لَعلِموا أن الأمر ليس كما يظنون.

والاعتراف بواقعية كل منهما وإلا فلا مجال للانكار ...

ومعلوم أن العلماء قد اشترطوا لجواز النهي عن المنكر شرطين : الأول: معرفة المنكر، والثاني: ان لا يؤدي نهيه الى ارتكاب ما هو أعظم منه. وأكثر الوهابيين فيما ينكرونه اليوم، من البدع والمكروهات يرتكبون اعظم منها، لأنهم بانكار هذه البدَع يكفّرون المسلمين الموحِّدين الذين هم في واد والكفر في واد، - لا جرم - ان تكفير المسلم الموحِّد أكبر واخطر من ارتكاب بعض البِدَع والمكروهات .

وأعجب شيء منهم هو أنهم يتأثرون للبدع والمكروهات وينكرون عليها بشدة، أكثر مما ينكرون على المحرَّمات كالكذب والغيبة والسخرية ونحوها من الكبائر. وقلّما يوجد منهم من يتأثر لهذه الكبائر الغاشية تأثيره للبدع والمكروهات، وشأنهم هذا شأن من يبني قصراً ويهدم مصراً. وكان عليهم ان يقدموا الأهم فالأهم ..

ولا يخفى ان القاعدة الاسلامية تقتضي ان لا يقول أحد قولاً ولا يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه، وإلا فهو على خطر يخشى منه تحريم الحلال أو تحليل الحرام .. ولا نعني بهذا اننا نجوّز البدع كلها أو نسعى إلى تشجيع البدعين والمخالفين، بل بالعكس!

فنحن ضد البدع المخالفة للكتاب والسنة، وضد الأوهام والخرافات الباطلة أياً كان مصدرها، نسعى الى قمعها والقضاء عليها بكل ما أوتينا من حول وقوة. ولكننا في نفس الوقت، نعترف بأن هناك بدعاً لا بأس بها إذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات أو المسنونات، لأن كل ما

يُتَوَصَّل به الى الواجب واجب . وما يتوصل به إلى السنة مندوب.

ونؤمن كذلك بأن البدع – كما ذكرها الفقهاء – تنقسم الى خمسة اقسام: واجبة، ومندوبة، ومباحة ، ومكروهة ، وحرام . لكل واحدة منها حكمها ومنزلتها .

ولذلك نرى وجوب التمييز بين البدعة الحسنة والبدعة القبيحة لنسمي الأولى سنَّة كما في الحديث : (من سَنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).

ونسمي الأخرى بِدعة كما في حديث آخر : (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).

ولا ينبغي ان نحكم على البدع كلّها من خلال ظاهر الحديث القائل: كل بدعة ضلالة. لعلمنا بأن هناك اشياء نستعملها اليوم في شؤوننا الدينية والادارية تمشياً مع تطور العصر الحديث، مع أن تلك الأشياء لم تكن موجودة ولا هي مستعملة في حياة الرسول ولا في زمن الصحابة، وإنما ابتُدِعَت من بعدهم رضوان الله تعالى عليهم.

وإذا صح القول بأن كل ما لم يفعله الرسول ﷺ فهو بدعة موجبة للدخول في النار. فكيف بنا ونحن نتوجه كل سنة الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عن طريق الجو، او عن طريق البواخر والسيارات ؟ مع العلم بأنه ﷺ لم يدخل مكة قط بواسطة هذه المخترعات الحديثة، ونعلم أن مسجده ﷺ لم يكن مجهزاً بمكبرات الصوت ولا المراوح الكهربائية كما

هي الحال في مساجدنا اليوم، ولم يبلغنا قط أنه ﷺ صام أو أفطر بإخبار الاذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن ونفطر بها .

وإذ كانت عباداتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم يفعلها الرسول ولم يباشرها في حياته، فمن ينجو منا؟ ومتى يمكننا تصديق قوله ﷺ: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) حديث شريف اخرجه الترمذي. وقد قسّم ابن عبد السلام[1] الحوادث الى الأحكام الخمسة فقال : البدعة فعلُ ما لم يُعْهَد في عصر رسول الله ﷺ، فقال واجبة كتعلّم النحو، وغريب الكتاب والسنة ونحوهما، مما يتوقف فهم الشريعة عليه. ومنها محرَّمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسِّمة. ومنها مندوبة كإحداث الرُّبُط والمدارس والمستشفيات وبناء القناطر وكل إحسان لم يُعْهَد في العصر الأول .

ومنها مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف .

ومنها مباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر، والتوسع في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك.

ومن البدع المستحسنة أيضاً الكتب والتصانيف فهي محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة بعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين .

---

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي المتوفي سنة ٦٦٠هـ

بيان في أحكام الطُرُق والأوراد الصوفية

هذا ومن الجدير بالذكر، أن من الوهابيين من ينكرون الطُرُقَ والاذكار الصوفية كالتيجانية والقادرية والشاذلية ونحوها ويرفضونها رفضاً باتاً ويرونها من البدع القبيحة، ويقولون بأنها لم تكن في زمن الرسول، ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون، ويحملون الناس على تركها بكل ما لديهم من حول وقوة.

ويستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ {المائدة: ٣}.

وكقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ {الأنعام: ١٥٣}.

ويزعمون بأن هذه الأوراد هي السُّبُل المعنية في نص الآية.

وجوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بُعْدَ المشرق من المغرب،

فهذه الآيات وما شاكلها لا علاقة لها بنفي الورد أصلاً، وقد أخطأ فهمهم هنا خطأً فاحشاً، وناهيك عمّا فيه من تحريف القرآن الكريم وافتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات ومعانيها معروفة بتقرير الفقهاء والمفسّرين، ومن اراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير.

أما الطرق الصوفية - كما يمكن ان نعرّفها - إنما هي جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله والصلاة على نَبيِّه بشروط وأنظمة معيَّنة تتفق مع مبادئ الاسلام وأهدافه. واركانها ثلاثة وهي: الاستغفار، والهيللة والصلاة على النبي ﷺ.

والهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية - في نظر السادة الصوفية - هو مجرد التقرب الى الله تعالى بالاذكار التي أمر الله عبادة بذكرها بعد اداء فرائضهم، قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء ١٠٣].

وامتثال أمره تعالى بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقد رأوا أن التعاون على ذكر الله والصلاة على نَبيِّه أفضل وأهم من جميع أنواع التعاون لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

هذا ومن المعلوم بالضرورة، ان هذه الأذكار التي ينكرونها مأخوذة كلّها من الكتاب والسنة، وهي دائرة بين الاستغفار، والهيللة والصلاة على النبي ﷺ.

واما الاستغفار، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة الأمر في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر: ٣].

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود ٣].

وأما الأحاديث الواردة في الاستغفار فكثيرة لا يمكن حصرها، فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: (يا أيها الناس توبوا الى الله جميعاً واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة) رواه مسلم.

وقال عليه السلام: (ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في اليوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب) رواه البيهقي.

اما الصلاة على النبي فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الاحزاب: ٥٦].

وفي الحديث: (من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه عشراً ومن صلّى عليّ عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلّى عليّ مائة كتب الله بين عينيه

براءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء) رواه مسلم.

اما الهيللة – لا إلَه إلا الله – فقد قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد : ١٩].

وقال عليه السلام (أفضل الذكر لا إله إلا الله) رواه ابن ماجه والنسائي.

وقال أيضاً : (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله) رواه مالك بن أنس عن طلحة.

فمن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استُخْرجَت الاذكار المذكورة واتخذها السادة الصوفية طرقاً لهم بهدف التقرب الى الله والوصول إليه لا غير،فمن زعم أن لهم غرضاً غير ذلك أو هدفاً دون هذا فقد افترى، وقد تبيَّن انها مأخوذة كلها من القرآن الكريم والاحاديث الشريفة فلا ينكر عليها إلا الجاهل الأحمق أو السفيه المطلق.

وقد بشر الله الذاكرين بقوله تعالى : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الاحزاب :٣٥].

وقال ايضاً : ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة ١٠]، فلا يضرُّنا اذاً انكار المنكرِ بما هو موافق للكتاب والسنة .

هذا وقد ورد في كتاب «ذكر الله تعالى» لمؤلفه الحاج سعد بن عمر

بعد ان اورد جملة من الآيات والاحاديث الدالة على وجوب الذكر والحث عليه، قال سيادته: فمما تقدم من النصوص الصريحة نعلم ونتحقق بأن الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والشهادة أن لا إلَه إلا الله، أذكار حثَّ عليها الكتاب والسنة ورغّبا في ذكرها، ووعد الله عليهما ورسوله الثواب الجزيل، وغفران الذنوب، والدخول في الجنان، وان الرسول ﷺ وأصحابه الكرام داوموا على ذكرها مدى حياتهم.

فبناءً على هذا نصرِّح بكل وضوح، ان الوِرْدَ التيجاني الذي ليس إلّا كواحد من هذه الاذكار الجليلة، لا يكون بوجه من الوجوه حراماً أو بدعة قبيحة، كما لا يصح القول بأن الشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه اخترعه من عند نفسه، بل هي أذكار قرآنية محضة لا غبار عليها.

فان قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين، لأن الدين قد تم قبله لقوله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ {المائدة ٣}.

ولقول رسول الله ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضِلّوا ما تمسَّكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله) رواه مالك.

نقول: وأي دين تَمَّ قبل لا إله إلا الله وقبل الاستغفار وقبل الصلاة على رسول الله ﷺ، ومعلوم أن هذه الالفاظ الثلاثة هي أركان الوِرْد

التيجاني وعليها مداره، فإن كان القائل يعني بتمام الدين الاسلامي نقول فإن الله تعالى جعل لا إله إلا الله مفتاحه، والاستغفار مُذْهِبُ ذنوب أهله، والصلاة على النبي ومعرفة جميل نَبيْه وقد نطق بها الكتاب والسنة، وعمل بها الرسول ﷺ وأصحابه الكرام والصالحون من أمته، وسيعمل بها المسلمون الى يوم القيامة، سواء كانوا تيجانيين أو غير تيجانيين، فلا نجاة لأحد ممن يتدين بالدين الاسلامي دونها».

هذا وللطرق الصوفية دور هام في تحقيق الدعوة الاسلامية، وأثر بارز في التأليف بين قلوب المسلمين، وجمع كلمتهم، وحملهم على التمسك بالكتاب والسنة، وتعمير بيوت أَذِنَ الله ان تُرْفَع ويُذْكر فيها اسمه بالصلاة والتسبيح والتهليل بالغُدُوِّ والآصال.

وتعتبر الطريقة التيجانية بيت القصيد في نظم هذه الطرق الصوفية. وقد اخطأ من انكر على هذه الطرق الدينية وزعم أنها بدعة مخالفة للكتاب والسنة، أو اتهم زعماءها واعترض عليهم .

هذا، ولا ينكر أحد بأن الاسلام ما انتشر هنا في افريقيا السوداء إلا بفضل جهود شيوخ الطُرُق من امثال الحاج عمر الفوتي، والشيخ أحمد أمير حمد الله، والشيخ محمد عبد الله سعاد، والشيخ عثمان فودي، والعلامة الشيخ محمد بابه، والسيد الحاج مالك سه وغيرهم.

وقد قال الشيخ أحمد التيجاني: «وشرط هذا الورد المحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والأمور الشرعية.

وإياكم ولباس حلة الأمن من مكر الله، فإنه عين الهلاك، وترك المقاطعة مع جميع الخلق، وأكد ذلك بينكم وبين الاخوان في الطريقة».

وهذا دليل آخر على مدى اهتمام الطريقة التيجانية بالصلاة التي هي عماد الدين، وأنها تحثّ على مواصلة الارحام وعدم الأمن من مكر الله، ومع ذلك فأورادها لم تزاحم الفرائض ولا السنن في أوقاتها، بل هي مؤقتة في أوقات نُدِبَ فيها الذكر خاصة، وهي من بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر الى الغروب.

وأما ما ورد في كتب الطريقة من فضائل الذكر، وان من أخذ الورد التيجاني وداوم عليه الى المات أنه يدخل الجنة بغير حساب، ولا يعاقب هو ووالده وازواجه وذريته ان سلم الجميع من الانتقاد فهذه الوعود كلها داخلة تحت وعد الله ورسوله، وهي صادقة إن شاء الله تعالى.

ووجه ذلك، قد سبق ان علمت بأن الورد التيجاني ما هو إلا الاستغفار، والهيللة والصلاة على النبي ﷺ. فالآيات القرآنية والاحاديث النبوية تصرّح في أكثر من موضع فضل الذكر بهذه الصيغ، وما وعده الله للذاكرين بها. قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الاحزاب:٣٥].

وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

وفي الحديث: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون

بذلك إلا وجهه إلا نادى مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بُدّلت سيئاتكم حسنات) رواه أحمد.

فهذه وعود صريحة بالمغفرة ودخول الجنة وعدها الله للذاكرين وهو تعالى صادق الوعد ولا يُخْلِفُ الميعاد.

وأما ما يخص والديهم وأزواجهم وذرياتهم فقد قال تعالى : ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد:٢٣].

وفي الحديث عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال : (إن الله عز وجل ليرفع ذرِّية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لِتَقرّ بهم عينُه) ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾[الطور:٢١]. فمن تأمل هذه الآيات والاحاديث النبوية، تحقق بأن وعد الشيخ للذين حافظوا على الأوراد بشروطها تابع لوعد الله تعالى في القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ وغير خارج عن حدود الشريعة المطهرة، فلا لوم على الذين تعلقوا بهذه الوعود الصادقة متكلين على الله تعالى القائل في كتابه، العزيز : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر ٥٣].

وأما ما يقوله أو يفعله بعض الجهّال المنتسبين الى الطريقة التيجانية مما يخالف الشريعة الاسلامية، فإن الشيخ ليس مسؤولاً عنهم، وطريقته بريئة منهم، كما ان الرسول ﷺ ليس بمسؤول عن أعمال جهلة المسلمين من أمته، والدين الاسلامي هو ايضاً بريء مما يفعله بعض المسلمين المنحرفين

وليس لأحد حجة على الشيخ بعد قوله : «وإذا أمرتكم بأمر زِنوُه بميزان الشرع فان وافق فاعملوا به وان خالف فاتركوه».

فعبارات الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله أبو بكر رضي الله عنه.

حينما بويع بالخلافة وقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه : «أيها الناس أطيعوني ما اطعتُ الله وان عصيته فلا طاعة لي عليكم يغفر الله لنا ولكم».

الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب

ينتهج الوهابيون المتطرفون في هذه المسألة نهجاً خارقاً للاجماع ومعارضاً لأقوال العلماء وآراء الفقهاء.

وذلك أنهم ينكرون أئمة المذاهب وكتبهم الفقهية، وينفون التقليد لهم والتقيد بمذاهبهم، زاعمين أن لهم الحق في استنباط الأحكام والمسائل من القرآن والحديث مباشرة دون التقيد بمذهب من المذاهب أو التقليد لإمام من أئمة الدين .

وهذا – في الواقع – تلبيس عظيم غرّوا به العوامّ من الجهّال وصغار الطلبة حتى أوقعوهم من حيث لا يخرجون. وقد يكون دافعهم الوحيد إلى هذا التلبيس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الاربعة والقضاء عليها، ليفسحوا المجال أمامهم كي يتسنى لهم تحقيق اغراضهم الشخصية المتمثلة في حب الظهور وعدم اعتراف بالغير .

كما يحاولون من خلال توجيهاتهم السخيفة تضليل العوام عن دَوْر هذه المذاهب وصرفهم عن تعلم الفقه والاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الاسلام وأحكام العبادات، بينما لا يمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنا لانها قد وُضِعَتْ خصّيصاً لتفصيل وتبيين ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي مجملا من احكام العبادات والمعاملات.

بل ولا يصح الاسلام بالنسبة لنا - نحن الخلق - إلا بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. وليس بالاجتهاد الفوضوي كما يزعمه بعض الجهلة. ولا يخفى ان العلماء متفقون على ان الخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌ مُضِل، وربما أدّاه ذلك الى الكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر، ولأن كثيراً من القرآن والاحاديث ما ظاهره صريح الكفر، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران ٧].

ولا ينبغي اتهام الأئمة الاربعة في ترك السنة وهم أرباب العلم والورع، والكشف والانصاف، وأحرص الناس على اتباع سنة رسول الله ﷺ وقد بنى الامام مالك مذهبه على أربعة اشياء : آية قرآنية، وحديث صحيح، واجماع أهل المدينة، واتفاق جمهورهم.

وقد اجمع اهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد وقد شاع ذلك حتى صار معلوماً من الدين بالضرورة.

ومعلوم عند كل أحد أن رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان، وأنه ليس في أبناء هذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ومن توهم ذلك فقد غرَّه هواه، ولعب به الشيطان.

لذلك كان من حقنا - نحن الخلق - ان نقلد هؤلاء الأئمة بدلا من الاجتهاد الذي لم يصل إليه افهامنا، فالاجتهاد له شروط وبدونها يكون تلاعب وسخرية بشريعة الرسول ﷺ، اعاذنا الله من ذلك. وقد قال ابن القيم[1] في كتاب «اعلام الموقعين» لا يجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب والسنة مالم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط ان يكون فقيها عالماً بكتاب الله حافظاً له عارفاً باختلاف قراءته، واختلاف قُرّائه، بصيراً بتفسيره، خبيراً بمُحْكَمَه ومشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه. ومنها أن يكون عالماً بسنة رسول الله ﷺ، مميزاً بين صحيح أحاديثه وسقيمها. ومنها ان يكون ورِعاً ديناً صائناً لنفسه، صدوقاً، ثقة يبني مذهبه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصاً فلا يجوز له ان يكون مجتهداً يقلده الناس.

وسأل رجل احمد بن حنبل[2] إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيهاً؟ قال: لا. قال: فمائتي الف حديث؟ قال: لا. قال فثلاثمائة ألف حديث؟ قال: لا. قال: فأربعمائة ألف حديث؟ قال: نعم. ويقال ان احمد بن حنبل اجاب عن ستمائة الف حديث.

هذا ولا يجهل احد منّا ان العلماء في كل زمان ومكان كالنووي والسيوطي وأحمد بن تيمية وابن القيّم والفخر الرازي وطنطاوي والغزالي وابن القاسم وخليل بن اسحاق وغيرهم كانوا جميعاً على تقليد بالأئمة، مع ان كل واحد منهم له اليد الطولى في كل فن من الفنون، ولكن لما علموا

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ هـ.

(٢) أحمد بن محمد بن أبي عبد الله المتوفى ٢٤١.

أنهم لم يصلوا الى رتبة الاجتهاد فَوَقفوا عند حدهم وكانوا من جملة المقلدين. «ورحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طَوْرَه».

هذا ومن الغريب جداً ان يكون باب الاجتهاد مفتوحاً امام الجميع يتسارع إليه الفقيه والسفيه، ويتزاحم لديه العالم المتبحر والجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه، ويتخبط ذاك بجهله، كلّا ! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام وتلبيس الحقائق بالأحلام ليس غير. فالاجتهاد في نظر المحققين رتبة في غاية السمو والارتفاع ومن المستحيل ان تحاول الوصول إليه عصبة من المتخلفين الذين كان الجدال -ولا يزال - هو مبلغهم من العلم ومنتهى حظهم في الفهم، وقد سوّلت لهم أنفسهم ان يجوّزوا لأنفسهم ولغيرهم الاستنباط من القرآن والأخذ بظاهر الآيات والاحاديث، علماً منهم بأن ذلك أقرب وسيلة وأنجح حيلة لصيد عقول الجهّال ونيل الشهرة والرياسة لدى الأميّين الذين لا يُمَيّزون بين السقيم والمستقيم، لأنهم يقولون : نحن نقول قال الله أو قال رسول الله،وغيرنا يقول، قال مالك وقال شيخ فلاني.

ومن هنا انكروا التقليد بأئمة المذاهب وبالغوا في نقدهم والاعتراض عليهم، وتراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونقلد بالائمة في اجتهادهم المتحمل للخطأ؟

وكيف نترك قول الله ورسوله ونأخذ بقول مالك أو بقول شافعي أو بقول فلان وفلان ؟

وقد اجابهم بعض المحققين في تلك التساؤلات بقوله[1] . «ان تقليد الأئمة في اجتهادهم ليس تركاً للآيات والاحاديث كما يزعمون، بل هو عين التمسك والأخذ بها فان القرآن الكريم ما وصل إلينا إلا بواسطتهم مع كونهم أعلم منّا بناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيده، ومجمله ومبّينه، ومُتشابهه ومُحكمه، واسباب نزوله ومعانيه وتأويلاته ولغاته وسائر علومه. وتلقيهم ذلك عن التابعين المتلقّين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله وسلامه عليه المعصوم من الخطا والهفوات .

وكذلك الاحاديث ما وصلت إلينا إلا بواسطتهم مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحيحها وحَسَنِها وضعيفها ومرفوعها ومُرسَلِها ومُتواتِرِها وآحادها ومعضلها، وغريبها وتأويلها، وتاريخ المتقدم والمتأخر والناسخ والمنسوخ وأسبابها ولغاتها وسائر علومها، مع تمام ضبطهم وتحريرهم لها، وكما إدراكها وقوة ديانتهم واعتنائهم وتفرعهم ونور بصائرهم».

وخلاصة القول، فإن مدعي الاجتهاد من ابناء هذا العصر، المنكرين لتقليد ائمة المذاهب قد لا يريدون من وراء هذه الدعوى إلا حبَّ الظهور وقَصْدَ الشهرة بمقتضى قاعدة: «خالف تعرف» . أو يريدون بها تفريق وحدة المسلمين، وإثارة الشكوك والخلافات بين صفوفهم سعياً وراء مصالحهم الشخصية. وإلا فَهُمْ أعلم بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوي المكانة المعتبرة في العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فضلاً عن الاجتهاد الذي يقف دونه أكابر العلماء .

---

(١) وهو العلامة الشيخ محمد أحمد عليش في كتابه فتح العلي المالك صفحة ١٠٠ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مسألة القبض والسّدل

أما القبض، فهو الشعار الرسمي لوهابيي بلادنا وقانونهم المطبق، بل هو الركن المؤكد وشرطهم الاساسي لصحة الصلاة وقد يبطلون صلاة من ترك القبض وأَسْدَلَ يديه، ولا يأتمون به، ويحكمون عليه بالكفر والفسوق تارة، وبالشرك والنفاق تارة أخرى.

فهذا الحكم الفاسد إما لجهلهم بفقه الصلاة، وإمّا لإنكارهم على الامام مالك ﷺ الذي كره القبض في الفرائض، ولا حجة لبعضهم في تأكيد هذا القبض واختياره على السدل سوى انهم ذهبوا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ووجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم في الصلاة .

ونحن نجيب لأولئك البعض، بأن الحج إنما هو مؤتمر اسلامي كبير يشترك فيه آلاف المسلمين القادمين من بلاد مختلفة ومن اماكن شتى، فبعضهم على مذهب الحنفي والبعض الآخر على مذهب الحنبلي، وقد يكون بعض هذه المذاهب يُفضِّل القبض ويأمر به خلافاً لمذهب الامام مالك رضي الله عنه .

ولا ينبغي للمالكي ان يترك مذهبه ويقلّد غيره على هذه الصورة، خصوصاً إذا كان قبضه يؤدي الى سوء التفاهم واختلاف الآراء فيما بينه وبين قومه، فصَوْنُ الوحدة الاسلامية والسعي لتقارب وجهات النظر بين المسلمين في شؤونهم الدينية والدنيوية أَوْلىٰ، وأجدر من التمسك والتشديد في مسائل قد رخّص فيها، ومع ذلك فلسنا نحن مأمورين باتباع أهل مكة في سائر الأقوال والأفعال، وإنما أُمِرْنا باتباع النبي ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الاحزاب:٢١].

ولم يقل: كان لكم في أهل مكة أية أسوة، فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين، مأمورون هم أيضاً باقتداء النبي ﷺ، لا ان يُقْتَدى بهم وحدهم. فمسألة القبض والسدل اذن ليست بمسألة مكيين أو مدنيين حتى تحتاج الى التقيد بها هنالك. ولكنها مسألة مرئية عن رسول الله ﷺ كباقي المسائل الفقهية .

وقد ثبتت في الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض والسدل وإنهما من فعل المعصوم ﷺ، ولا يتصور أن يكون الامام مالك رضي الله عنه قد اختار السدل من تلقاء نفسه، أو أمر به بمجرد هواه، وحاشاه ان يفعله أو يأمر به دون ان تكون له اسانيد صحيحة عن رسول الله ﷺ في ذلك، ولا يليق بنا أن ننكر عليه أو نعارضه في أية مسألة من المسائل الفقهية لا في السدل، ولا في غيره، لأنه أعلم منا بصلاة رسول الله ﷺ ، وأفقهنا بحكم القبض والسدل، وهو رضي الله عنه إمام فقهاء عصره وقدوتهم على الاطلاق، ومذهبه عمري على المشهور. وحسبه فخراً كونه إماماً لدار الهجرة وعالم المدينة المنورة على التحقيق وقد قال النبي ﷺ في حقه: (لا تقوم الساعة

حتى يظهر عالم المدينة).

وقال أيضاً (يخرج الناس من المشرق إلى المغرب في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة)

وسأل أبو حنيفة عن مالك فقال: «ما رأيت أعلم بسنَّة رسول الله منه» ومناقب الامام مالك رضي الله عنه اظهر من شمس الضحى وأكثر من ان تُعَدّ أو تُحْصىٰ.

هذا، ومن الواضح جداً أن منكري السدل الطاعنين به غير مقيَّدين بقوانين الفقه والحديث. وليسوا بمتفقهين بالمعنى الصحيح، لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وسعد بن سهل ومعاذ بن جبل وعبد الله بن الزبير وأبي حميد الساعدي وغيرهم.

فالطعن على المسدلين طعن لجميع هؤلاء الصحابة والعياذ بالله من ذلك. ومعلوم أن اصحاب رسول الله كالنجوم بأيهم اقتدينا واهتدينا.

وإنّا لنعتقد ان الطاعنين على السدل معذورون من حيث قلة الفهم وضعف الادراك فهم - على ما يبدو - كأدوات مسخَّرة لافكار بعض المتطرفين الذين يزعمون أن السدل بدعة قبيحة، وان النبي ﷺ، لم يفعله قط، ولم يأمر به، وذلك ما صرح به الأخ محمد المرزوق بن عبد المؤمن الفلاتي في كتابه: «القبض والارسال في الصلاة» وقد ذكر هذا الرجل في كتيِّبه المذكور أن مسدلي الايدي في الصلاة بدعيون ملعونون ومستحقون الخلود في النار. وقال ايضاً: ان صلواتهم باطلة وعباداتهم عاطلة جميع

أعمالهم مردودة من أجل هذا السدل، لقول النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)،من حديث عائشة. ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطباً ولا يابساً من الكلمات القبيحة والعبارات الشنيعة إلّا واطلقها على الأئمة الكرام والعلماء الاعلام الآخذين السدل من صفة الرسول عليه السلام .

ومن جريان العمل به من طرف بعض الصحابة والتابعين، وباتفاق جمهور العلماء على مرّ القرون والعصور .

هذا ومن المؤسف جداً ان هذا الكتيب-رغم ما فيه من الفحشاء والمنكر والكلام القبيح- قد نال قبولاً حاراً واهتماماً بالغاً لدى بعض الوهابيين الذين زادوا به حقداً على المسلمين، وتفريقاً بين صفوف المصلّين، فصار القابض منهم يمتنع ان يصلي خلف السادل عملاً بما ورد في هذا الكُتيّب. وتعطلت من اجل ذلك المساجد والزوايا، وشرعوا بحكم لم يأذن به الله ولم يُنزل به سلطاناً. ويتابع الفلاتي في صفحات كُتيّبه قائلاً :

«فإنّا لم نجد للسدل حديثا صحيحا ولا حسنا ولا ضعيفا حتى نعتمد عليه» نعم قد لا يجد الفلاتي الحديث عن السدل - كما ذكر - لأنه لم يكن متعمقاً في علم الحديث مثلما تعمق في علم السب واللعن والشتائم، والاستاذ الفلاتيّ - كما يبدو لنا في اسلوب لعناته وعباراته في الطعن والتشنيع - يبدو وكأنه تخرّج من «كلية البذاءة»، وقد حاز فيها على شهادته العليا «في الوقاحة والجرأة» لذلك لا يمكن له أن يكتب أو يتكلم إلا بما يناسب ثقافته المشؤومة.

اما كون السدل من فعل المعصوم ﷺ، فيشهد عليه حديث مسيء الصلاة الذي أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة .

وخلاصته : «أن رجلاً دخل المسجد وصلّى بحضور الرسول عليه السلام، ثم جاء فسلّم عليه، فقال: (وعليك السلام ارجع فصلِّ فإنك لم تُصَلِّ)، فصلى ثم جاء فسلّم فقال: (وعليك السلام ارجع فَصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ)، فصلى، ثم جاء فسلّم فقال (وعليك السلام ارجع فَصَلِّ فإنك لم تصل) فقال في الثانية أو في الثالثة: علمني يا رسول الله فقال (إذا قمت الى الصلاة فأَسْبِغِ الوضوء، ثم استقبلِ القبلة فتكبّرْ اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلّها). وزاد في رواية أخرى (فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقصت منها فإنما أنتقصت من صلاتك).

هذه كيفية للصلاة بتمامها ذكرها الرسول ﷺ ولم يذكر فيها القَبْض. وصح الاستدلال بهذا الحديث على ان كلما ذكر فيه واجب لا تصح الصلاة بدونه، وما لم يذكر فيه فليس بواجب، وهو ﷺ كان يومئذ بمقام تعليم الواجبات في الصلاة ولا يجوز في حقه ان ينسى شيئاً منها أو يقتصر بذكر بعضها دون البعض .

وكذلك حديث أبي حميد الأنصاري الذي اخرجه البخاري وابو داود والنسائي، وذلك ان أبا حميد كان في عشرة من اصحاب رسول الله ﷺ، فقال انا اعلم بصلاة النبي ﷺ ،قالوا : نعم فو الله ما كنت بأكثرنا له تبعة ولا اقدمنا

صحبة، قال بلى. قالوا : فاعرض أي صف لنا صلاة النبي، قال : كان رسول الله ﷺ اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما مَنْكِبَيه ثم يكبِّر حتى يقرّ كل عظم في موضعه معتدلا، ثم يركع ويضع راحته على ركبتيه .

وتابع أبو حميد رضي الله عنه في وصف صلاته مرتَّباً حتى أتى إلى التسليم. قالوا كلهم: صدقت هكذا كان يصلي ﷺ، مع أنه لم يذكر فيها القبض وقد ذكر جميع الفرائض والسنن والمستحبات ولم يذكر فيها القبض ولم يناقشوه فيه – رغم ان المقام كان مقام احتجاج وامتحان – وبهذا نعلم انهم متفقون على ان القبض ليس لازماً في صفة صلاته ﷺ .

اما قول مالك رضي الله عنه في المَوطَإ، «كان الناس يؤمرون ان يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة».

فان هذا الحديث يدل على ان الصحابة كانوا قبل ذلك يسدلون والا كان أمرا بتحصيل الحاصل وهو عبث محال عليه ﷺ، وحديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه الذي قال فيه : «رآني رسول الله ﷺ وضعت شمالي على يميني فأخذ يميني فوضعها على شمالي» يدل هو أيضاً على ان ابن مسعود رضي الله عنه كان حديث عهدٍ بالقبض، لأنه لا يجوز أن يجهل صحابي جليل مثل ابن مسعود فعلاً من افعال الصلاة الذي يكرره كل يوم سَبْعَ عشرة مرة على الأقل .

وهذان الحديثان يدلان على ان السدل هو اول فعليه، والذي يدل على أنه اخر فعلَيْه ﷺ استمرار عمل الصحابة عليه اذ لا يجوز جهلهم آخر حَاليَ الرسول ﷺ .

وامامنا مالك رضي الله عنه كان من تابعي التابعين، وقد اخذ عن علمائهم

الذين شاهدوا عمل اصحاب رسول الله ﷺ ولهذا اعتمد على ما شاهده منهم من السدل، فقال رحمه الله انه لا يرى القبض في الفرض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم[1] في المدوَّنة وأخذ به أصحابه.

هذا ومن أراد مزيداً من الايضاح في هذا الموضوع فليطالع كتاب «موقف الفصل في ادلة القبض والسدل» للعلامة الحاج سعد بن عمر توري[2] أو يطالع كتاب «ماقل دل في أدلة القبض والسدل للاستاذ الشيخ احمد التجاني الفوتى[3] فقد عالج مؤلفا هذين الكتابين - جزاهما الله خيرا - مسال القبض والسدل وبحثا عن احكامهما بحثاً دقيقا وبيّنا مشروعية كل منهما وماخذهما من صلاة الرسول ومن عمل الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وهذان الكتابان في غاية الأهمية لمن يريد التفقه في أحكام القبض والسدل.

ومن ذلك اتفاق الأئمة على استحباب وضع اليمنى على اليسرى في القيام وما قام مقامه، مع قول مالك في أشهر روايتَيه أنه يرسل يديه ارسالاً، ومع قول الاوزاعي انه يتخير، فالاول مشدد والثاني وما بعده مخفف، وان تفاوت التخفيف اختلفوا في محل وضع اليدين فقال أبو حنيفة: تحت السُّرة، وقال مالك والشافعي تحت صدره فوق سرّته، وعن احمد روايتان اشهرهما كمذهب أبي حنيفة واختارها الخرقى[4]. هذا، ومن

---

(١) عبد الرحمن بن قاسم العتكي المالكي المتوفى ١٩١ هـ.
(٢) السيد سعد عمر توري مدير «مدرسة سبيل الفلاح» سيقوج «مالي».
(٣) الأستاذ أحمد التيجاني به الخطيب الاسلامي في اذاعة والتلفزة ابدجا سع.
(٤) عمر بن حسين أبو القاسم الحنبلي المتوفي ٣٣٤.

الجدير بالذكر ان هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعاراً لهم ليتميزوا به عن غيرهم او ليقدّروا عددهم، والقبض أشرف من أن يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلّين، أو لتمييز بعضهم بعض .

ولا ينبغي أن يكون القبض والسدل مصدَري الخلاف بين جماعة المسلمين، اللهم الا اذا استولى عليهم التعصب او الجهل باحكام الفقه لانهما ليسا من الشروط التي تتوقف عليها صحة الصلاة، وليسا من الفرائض ولا من السنن المؤكدة، ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لأفعال الصلاة، ولكن اخواننا الوهابيين لمّا تركوا تعلم الفقه جهلوا احكام الصلاة، وجعلوا الفضائل محل الفرائض، وفي الحديث: (من يُرِد الله به خيراً يفقّههُ في الدين) متفق عليه، وأخيراً نختم هذا الموضع بمقال للاستاذ الحاج سعد بن عمر نقلناه من كتابه «موقف الفصل» ونصه ما يلي: «فالقول اذا يا اخواني ببطلان صلوات السادلين أو القابضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له في الشريعة، ولا قال به من يعتدُّ بكلامه من الأجلة، ونسبة فاعل أحدهما او تاركه الى البدعة او النفاق او الكفر الموجب للخلود في النار، ودعاؤه بالفحش والبذاء والطعن في الايمان والوقوع في الاعراض حرام في الشريعة المطهرة، ولا نتيجة له سوى التدابر والتضاغن والنزاع والتفرقة وقطع الارحام وهجران المساجد وسدّها، واغلاق المدارس المؤدي الى اضعاف المسلمين وفشلهم، وتسليط الاعداء عليهم كما وقع - فعلاً - في بلادنا بفعل هذه الشرذمة التي ما زالت تسعى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة».

التداوي بالقرآن أو بأسماء الله تعالى

وجدير بنا ان نأتي بهذا الموضع لأنه من اشهر المواضع التي تثير الخلافات بيننا وبين الوهابيين، فهم يرون ان من كتب شيئاً من القرآن او من أسماء الله تعالى وعلّق عليه سواء للتداوي به او للتحرز فقد كفر بالله. ويرون ان فعله هذا نوع من السحر أو هو السحر ذاته. عفا الله عنهم حيث اوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن والحديث في هذا الموضوع. قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾ [الاسراء:٨٢].

وقال أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

وآيات الشفاء معروفة ومشهورة لورودها في القرآن الكريم في ستة مواضع، فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الامراض الحسية والمعنوية، وشفاء من الامراض الظاهرة والباطنة، بدليل ما ورد في الحديث: (الفاتحة شفاء من كل داء) رواه البيهقي.

وقال عليه السلام : (خذ من القرآن ما شئتَ لما شئت).

وقال ايضاً : (من لم يستشف بالقرآن لا شفاء له).

وقالت عائشة : «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى رقاه جبريل » فقال: (بسم الله يبريك من كل داء يشفيك من شر حاسد إذا حسد).

وروى عنها ايضاً: «كان ﷺ إذا اشتكى يقرأ نفسه بالمُعَوذات وينفث في يده ويمسح بها ما بلغ من جسده» وهذا دليل على ان التداوي بالقرآن أو بأسماء الله تعالى جائز وأخذ العوض عنه جائز كذلك بما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : انطلق نفر من اصحاب رسول الله ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من العرب فاستضافوهم فلم يضيّفوهم، فقالوا لهم: إن سيدنا قد لدغ وقد سَعَيْنا له بكل شيء فلم ينفعه، فهل عند احد منكم شيء؟ فقال بعضهم نعم، والله إني لا أرقي، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لي جعلاً «أي أجراً» فصالحوهم على قطيع من الغنم، فأخذ الصحابي يقرأ الفاتحة ويتفل عليه فقام الرجل يمشي وما به علة،فأوفوهم جعلَهُمْ ولـمّـا رجعوا الى المدينة اخبروا النبي بذلك، فقال لهم النبي ﷺ : (إن أحق ما اتخذتم عليه أجرا كتاب الله) رواه البخاري.

هذا ولنا أسوة حسنة بأصحاب رسول الله ﷺ الذين هم نجوم الهدى ويصح الاقتداء بهم في كل شيء، والذين سبقونا إلى هذا العمل الطبي وأخذوا عليه الاجرة، فأجاز لهم الرسول أكل هذه الاجرة، وهو ﷺ اعلم بما يجوز أكله وما لا يجوز.

وأما قولهم بأن الرقية هي الجائزة، لكونها هي الواردة في الاحاديث والآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب والتعليق .

وأن الكتابة حرام مطلقاً، فهذا القول مردود لانا لم نجد في احكام الشريعة الاسلامية حكما يجوز التلفظ به ويحرم كتابته.

فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعا كتابته، وما لا فلا!

ومن المعلوم ان الكلمات التي لفظ بها الراقي هي نفس الكلمات التي يكتبها الكاتب على السواء، ولا يحتمل تجويز احدهما مع تحريم الآخر، فاللفظ والكتابة أمران متحدان حكماً ومعنى يقوم كل منهما مقام الآخر.

وفي «الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني: «ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن» ويكون مستوراً بطاهر يقيه الأذى. ولا بأس ايضاً بالرقية من غير القرآن حيث كان عربيا مفهوم المعنى كالمشتمل على ذكر الله ورسوله، وأما مالا يُفْهَم معناه كالكلمات العجمية والطلاسيم المبهمة فلا تجوز الرقية بها، لأن الامام مالك رضي الله عنه سُئِلَ عن الأسماء العجمية قال: «وما يدريك أنها كفر؟» وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده من همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنها لن تضره) وكان عبد الله بن عمر يعلمهنَّ من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبها في صك ثم علقها في عنقه. رواه أبو داود والنسائي والترمذي.

ويقول عليه السلام: (لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك) ويقول ايضاً في حديث آخر: (لن يجعل الله شفاء أمتي فيما حرّم عليها).

ويستفاد من هذين الحديثين على أن التداوي بأسماء الله تعالى وآياته يجوز مطلقاً، لأنه لو لم يكن جائزاً - كما يُفهم من سياق هذا الحديث لما شفي بها أحد من الأمة، وقد اثبتت التجارب أن آلافاً أو ملايين من

المرضى قد شفاهم الله بمحض ارادته، ثم ببركة هذه الآيات المكتوبة.

وشأن هذه الآيات المسْتَشفى بها ، شأن غيرها من الأدوية الأخرى وكلها لا تأثير لها في دفع الشر ولا في جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى .

هذا وليس من المعقول أن تكون العقاقير التي نروح ونغدو إلى الصيدليات لشرائها طلباً للشفاء، أكثر أهمية وأعظم عند الله درجة من المعوذات وآيات الشفاء التي نكتبها هي أيضاً لنفس الغرض.

فكل من الآيات المكتوبة والعقاقير المشروبة والعمليات الجراحية المستعملة لا قوة لها في حد ذاتها لدفع المرض أو استعادة الصحة، ولكنها اسباب ووسائل ليس إلا!

فالشافي الحقيقي إنما هو الله وحده . ولقد اجاد من قال :

إن الطبيب لذو علم ومعرفة ... ما دام في أجل الانسان تأخير

حتى إذا ما انقضت أيام مدته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

أما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل : (من علَّق تميمة فقد أشرك).

والحديث القائل : (من علَّق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا ودع الله له).

فهو -على ما أعتقد- من الوهم اللغوي عندهم لأن التمائم معناها في اللغة «خرزات» هي ما ينظم في السلك من الجذع والودع وما يشبهها، وقد كان الاعراب في الجاهلية يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح، فلما جاء الاسلام نهاهم الرسول عن ذلك .

وعلى هذا، فإن المراد بالتمائم والودع في الحديث المذكور إنما هي تمائم الجاهلية وودعهم التي كانوا يعلقونها قبل الاسلام، ولا يتصور حمل هذه الاحاديث على ما يكتبه المشايخ من الآيات القرآنية والاسماء الالـهية للتعوذ بالله، أو لطلب الخير منه لما سبق ذكره من احاديث وآيات الشفاء ولعدم التجانس بين هذه وتلك!

وشتان بين خرزة مثقوبة، وورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق بقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الاعراف: ١٨٠].

والدعاء سواء كان باللفظ أو بالكتابة، وسواء للدنيا او للآخرة، كله جائز لقوله تعالى : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠].

ولما في الحديث : (الدعاء مُخّ العبادة) هذا وينبغي استمرار المنع لخصوص تلك الجذع والودع التي مازال بعض العوام يستعملونها حتى اليوم .

ويجب منعها اياهم تبعاً للاحاديث الصحيحة الواردة في عين هذه الجذع والودع المعروفة .

وأما كتابة هذه الآيات القرآنية وهذه الاسماء الالهية لقصد الضرر وظلم عباد الله كاهلاكهم مثلاً، وإتلاف أموالهم أولاً إدخال العداوة بينهم فهو الممنوع الحرام، يعاقَب به فاعله والمفعول له معاً، الا من تاب وآمن وعمل صالحاً. ويحرم كذلك الدخول بها في الاماكن النجسة والمواضع القذرة. ويجب على المشايخ التنبيه عليه وتحذيره، وان لا يكتبوها إلا لمستحقها لغرض جائز شرعاً، وتكون مستورة بطاهر كالجلد ونحوه وحينئذ لا حَرَجَ والله اعلم.

بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء والاتجاهات من دعاة الوهابية ايًّا اختلاف، وكأن لكل واحد منهم أوامره ونواهيه الخاصة به ينفرد بها دون غيره، وليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة وتلك الاتجاهات المتناقضة والجمع بينها .

وبما ان الواجب على المرء ان لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب او طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بأن يسمع ذلك الشخص ما قيل عنه، أو يقرأ كتبه أو يجتمع بأصحابه المقرّبين، لذلك بذلت جهدي في تحصيل الكتب الوهابية، لأقِف على حقيقة هذه الدعوة قبل أن اصدر حكمي لها أو عليها، وقد اطلعت على بعض هذه الكتب وقرأت شيئاً من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله، كما اجتمعت ببعض وهّابيي بلادنا البارزين، واستمعت إليهم وفهمت مقاصدهم وخلال مقارنتي بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين ما هو عليه وهّابيو بلادنا لاحظت اختلافاً جوهرياً في الأقوال والأفعال بل وفي العقائد بين الادارة

الوهابية وبين المتوهبين الآخرين، وخاصة أولئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماما وبصفة غير معهودة بين المتبوع والتابعين، وذلك مما يؤكد بوضوح على ان الدعوة الوهابية قد اصابها داء التعصب والفوضى من قِبَل بعض المتطرفين والمنحرفين، الذين سلبوا من هذه الدعوة جميع القيم والمثل العليا، وأقل ما يقال فيهم أنهم اصحاب مراء وجدال استولى عليهم الجهل والتعصب - بل هم قوم خَصِمون -».

وها أنا انقل لك أيها القارئ الكريم بعضاً من الرسائل التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى بعض أتباعه، والتي ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد البسملة الصلاة على النبي «أُشْهِدُ الله ومن حضرني من الملائكة وأُشْهِدُكم أني اعتقد ما اعتقده أهل السنة الجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وأقرّ بكرامات الأولياء إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً، ولا أشهد لِأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له الرسول ﷺ، ولكني ارجو للمحسن وأخاف على المسيء ولا أُكَفِّر أحدا من المسلمين بذنبه ولا أُخرِجُهُ من دائرة الاسلام.

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأَكِلُ سرائرهم الى الله.

ونحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلّد الائمة الأربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا احد منّا يدّعيه».

انتهى ما نقلناه من رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التي بيَّن فيها عقيدته وما هو عليه[1].

ولكن لننقل لك ايضاً - أيها القارئ الكريم - بعض المحاورات والمناظرات التي جرت بيني وبين الاصدقاء الوهابيين، ليتبين لك عقيدة وهابيي بلادنا، ولتعلم ايضاً بأن جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من احوال الوهابيين انما هو عن علم اليقين . «وليس الخبر كالعيان».

لقد قمت مرة بزيارة لمدينة «سكاسو» فجاءني بعض الأصدقاء من الوهابيين للسلام علي كالعادة، ولما استقر بنا الجلوس شرعنا في الحديث عن الخلافات الدينية وتأثيرها في المجتمع، واقترحنا ان نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم ونزيل الخلافات القائمة بيننا فابتدرت بالسؤال قائلاً: لماذا خرجتم من المسجد وتركتم الصلاة معنا فهلا نصلي معاً فمن شاء منا يقبض يديه ومن شاء يسدل كما هي الحال في كثير من المساجد؟ فأجابني احدهم قائلاً : لا يا أخي المشكلة ليست في القبض أو في السدل، ولكننا في الحقيقة نعتبركم مشركين، فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم. ثم قلت له: لأي شيء تعتبروننا مشركين ؟ قال : لأنكم تعلقون التمائم وتتوسلون بالأنبياء والصالحين فعلمت ان هذا الأخ مصاب بداء الجهل وهو بحاجة الى طبيب الارشاد.

وتحدثت مرة اخرى مع صديق آخر منهم فقلت له : لو استطاع المسلمون ان يجمعوا كلمتهم ويوحِّدوا صفوفهم بدلاً من هذه الخلافات لكان خيراً لهم فأجابني الصديق : نعم، ولكن لا يستطيع المسلمون ان يتحدوا الا إذا تمسكوا بالكتاب والسنة وتركوا ما سواهما من المذاهب والطرق التي هي مصادر الاختلاف بين المسلمين .

---

(١) نقلناه من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية».

وما دام يقال هذا مالكي وذاك شافعي وآخر حنبلي فإن الاتفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضاً ان هذا الأخير أشد جهلاً من الأول، وقد بلغ به جهله ان ينكر كل شيء حتى على المذاهب الأربعة المُجمع على صحتها.

وفي مدينة «قاونني» حيث بنوا مسجداً جديداً يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق، تحدثت يوماً مع واحد منهم فقلت له : ما رأيكم في هذا المسجد الذي تقيمون فيه صلاة الجمعة، هناك جامع عتيق غير ضائق، وليس ثمة عذر شرعي يمنعكم من الصلاة فيه؟ ومع ذلك فمسجدكم هذا في بعض الأوقات لا يجتمع فيه اثنا عشر رجلاً فكيف ترون صحة صلاة الجمعة في هذا المسجد؟ فقال لي: شكراً على هذا السؤال، ولكن لا تنس أن هذا التحديد الذي ذكرتموه من ان صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثني عشر رجلاً انما هو من قول الامام مالك ﷺ، فلسنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الأئمة فالمعمول عندنا أن صلاة الجمعة تصح باثنين وبثلاثة وبأربعة بلاحَدّ.

وأعجب من هذا، فقد جاءني في العام الماضي أخ وهو من اهل البادية في نواحي «نيور» وقال لي بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية وأفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة لكل شخص حيثما حضرته الصلاة، سواء كان في القرية أو في الفلاة، وحجته في ذلك أن المسلم حيثما صلى فهو يصلي مع جماعة من الملائكة وقال لي هذا الأخ بأنه شخصياً صلى صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين وهو رابعهم صلوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا في مسجد مبني، فسألني ذاك الأخ عن صحة تلك الصلاة، وأمرته بالاعادة ظهراً، لعدم توفيتها شروط الجمعة.

ومن جملة ما يحرّمه وهابيو بلادنا الصور «الفوتوغرافية» حتى أن

بعضهم لا يبيع ولا يلبس الأقمشة التي توجد فيها صور الأشخاص أو الحيوانات، ولا يخفى أن علماء الحرمين الشريفين قد افتوا بجواز هذه الصور "الفوتوغرافية" لاهميتها في شتى المجالات، ولا حاجة لنا الى السؤال، هل الصواب مع هؤلاء المتطرفين أم الحق مع علماء الحرمين الشريفين ؟

أما التدخين فليس بمحظور في شريعتهم على الأرجح، لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة، فلا نزال نشاهد الدخان يخرج من فم الأخ الوهابي وهو لا يستحي ان يضر نفسه ولمن بقربه من نتن هذا الدخان، بينما قرأنا في الكتب الوهابية بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرِّم التدخين.

فإذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقر لكرامات الأولياء.

ولا يُكَفِّر احداً من المسلمين بذنب، وهو في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل فإن اتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات واستحقوا بأن نسميهم «وهّامين» بدلاً من الوهابيين لإنتهاجهم سلوكاً آخر غير الذي قرره الزعيم الوهابي .

واستناداً لما على هذه الحقائق المذكورة، فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا الى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر .

والوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن انكار أولياء الله تعالى، وعن التشديد في الدين، والتقليل من ذكر الله والصلاة على نبيه المصطفى

وأضف الى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ ولآل بيت النبي فكل من تكوّنت في شخصيته هذه الصفات فهو الوهابي الكامل، الذي يسمى عندهم بالسني.

هل هم سُنيون أم وهابيون ؟

يغلط البعض في هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يُسَمّون أنفسهم بالسنيين، بينما لا علم لهم بالسنة إلا اسمها، ولا صلة لهم بها اكثر من ادعائها والتفاخر بها، كأنها في نظرهم لقطة فلاة يختص بها اللاقط مهما كانت صفاته وكيفما ساء سلوكه واخلاقه.

ولكن هيهات ان تحقق الإِدعاءات نفعاً أو تقيم لأصحابها وزنا .

ويزعم هؤلاء المعنيون انهم سُنِّيون وليسوا بوهابيين، والعجب كل العجب ان يدعي الجاهل انه سني أو أنه زعيم للدين بارز وليس من المعقول ان يكون الجاهل سُنِّياً، فإن العلماء أنفسهم عجزوا ان يكونوا سُنِّيين حقيقيين إلا الخواص – وقليل ماهم- فكيف بالجهّال الذين هم في واد والسنة النبوية في واد.

فالسنية عبارة عن اتباع سنة الرسول ﷺ وأصحابه، والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم، وذلك يقتضي العلم والعمل معاً،

وبفقد الأول تكون سنية الجاهل محالاً وبفقد الثاني تكون سنية العالم باطلا ولا بد من اجتماعهما معاً، وإلا فهي سنية اللسان لا غير، فنحن لا نقبل سنية الجاهل مهما طالت لحيته أو اشتد تنسكه .

وفي الحديث : (شر أمتي رجلان عالم مُتَهَتِّك وجاهل مُتَنَسِّك) وقال الشاعر :

فاسد كبير عـــالم مُتَهَتِّـك	وأكبر منه جاهل مُتَنَسِّك
هما فتنة للعـالمين عظيـمة	لمن بهما في ديـنه يتمسـك

وقال الآخر : كم لحية طالت على ذقن وما تحته الا الغبارة والجهل

فالسنة النبوية تلاحظ صاحبها في جميع حركاته وسكناته، وتراقبه في كل العبادات والمعاملات من المشي والكلام والأكل والشرب والبيع وغيرها، وهي تفرض على المرء ان لا يفعل حتى يعلم حكم الله فيه، ويسأل العلماء ويقتدى بالمتبعين لسنة محمد ﷺ .

ومن هنا نعرف ان السنية لا تكون في زي خاص، ولا في هيئة معينة، بل هي اشرف من ان تتستر في مثل تلك الاماكن التي إن هي الّا حبائل يصطاد بها ضعفاء العقول والعقيدة. وفي الحديث : (إن الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أقوالكم ولكن ينظر الى ما في قلوبكن وأعمالكم) رواه الطبراني.

هذا وقد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف ان هذه الشعارات الإيهامية التي يعتمد عليها بعض دعاة الوهابية والتي تتمثل في توفير

اللحية ولبس البيض، والتغطى بالعمامة ما الى ذلك، لا تكفي بأن تكون تعريفاً كافياً للسني الحقيقي، وهم - مع الأسف - قد اخطأوا في تقدير السنية حيث قيدوها في نوعية اللباس وفي ظاهر الهيئات .

وإنما يعرف السُنِّي بظواهر تقوى الله في السر والعلانية، وبامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وبالصدق في القول والاخلاص في العمل، وبالقيام بوظائف العبادات من الفرائض والسنن والنوافل وأدائها كاملة غير منقوصة .

ويعرف السني كذلك بالتخلي عن الأوصاف الذميمة والاحوال الوضيعة، والتحلّي بمحاسن الصفات ومكارم الاخلاق .

فمن شأن السني ان يدعو الناس إلى دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن كما من شأنه أن لا يكون سبّاباً ولا لعّاناً ولافظّاً غليظاً ولكن هَيِّنا ليناً يعفو ويصفح ويبشِّر ولا ينفر اقتداءً بالرسول الكريم القائل «لم أُرسَل سبّاساً ولا لَعّاناً» والذي قيل عنه : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾.

[آل عمران : ١٥٩].

والسني -بعبارة أوجز- هو من وضع قدمه على قدم الرسول ﷺ، بحيث تكون أقواله وأفعاله مطابقة لأقواله وأفعاله ﷺ، يُصَدِّق لسان حاله لسان مقاله، ويكون متصفاً بمكارم الاخلاق في سائر الأحوال السرِّية والجهرية، وفي جميع تصرفاته ومعاملاته مع الناس .

والسني لا يتجاهر بسنّيته ولا يتفاخر بها، بل يخفيها قدر الامكان خوفاً من الابتلاء، وجرياً على عادة السنيين الحقيقيين. ويكون السنيّ مجتنباً الكذب والغيبة والنميمة، عَازلا عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات النفسانية راضياً القضاء حلوه ومره لا يخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير، ويكون شغله الشاغل مراقبة قلبه عن أن يدخله ما سوى الله ومعالجته من امراض الكِبْر والحسد والعُجْب والحرص، وتطهيره من دنس الخواطر النفسانية، والوساوس الشيطانية، ويترك الهذر والفضوليات ويتقي الشبهات في مأكله ومشربه وملبسه، ويحذر الغش في بيعه وشرائه، ويراعي حقوق جيرانه ويتحمل أذاهم ويوقّر كبار المسلمين ويرحم صغارهم ويساعد الضعفاء والمحتاجين .

ويقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة، ويصل من قطعه ويعطي مَن حرمه، ويعفو عَمَّن ظلمه ويحب لغيره ما يحب لنفسه ويضيف السني الى كل هذا، الاحتسابَ الى الله وتفريضَ أمره إليه لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائماً بين خوف ورجاء لا يزكي نفسه ولا يعجبه علمه أو عمله لما في الحديث : (الناس كلهم هلكى الا العالِمون، والعاملون كلهم هلكى الا العاملون، والعاملون كلهم هلكى الا المخلِصون والمخلِصون على خطر عظيم).

فتلك نبذة يسيرة من اخلاق السني وهذه صفاته فانظر نفسك أيها الأخ الوهابي فان كنت هكذا فأنت سني حقاً. وإلا، فلا ! وإياك ان تكون من الذين يقولون مالا يفعلون، قال تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٣].

وجوب صلة الرَّحِم وخطورة قَطْعها

فَصِلةُ الرحم واجبة في الكتاب والسنة والاجماع. قال الله تعالى :

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء : ١].

ومعنى الآية – والله أعلم – اتقوا الله وصِلوا أرحامكم ولا تقطعوها لاسباب غير شرعية. وفي الحديث : (يقول الله تعالى أنا الرحمٰن خلقت الرحم وشققت لها إسماً من إسمي، فمن وَصَلَها وَصَلْتُه، ومن قَطَعَها قطعته). رواه الطبراني عن جرير. وقال عليه السلام : (الرحم معلّقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله). أخرجه الطبراني والبيهقي، ويروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ :(ما من ذنب أجدر أن يُعَجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدَّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم).

ولهذا جاء الاسلام مهتماً بشأن الأرحام، وحثَّ المسلمين على صلتها ورعايتها في جميع السمتويات، وأكد لهم من ان قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ {الرعد : ٢٥}.

وقد ظلّت صلة الرحم عنصراً هاماً من عناصر الدين وهدفاً حيوياً من أهداف الاسلام، ولها أهمية كبرى في الدين والمجتمع ومن الضروري أن نوليها اقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها أي الرحم عاهد الله تعالى ان من قطعها قطعه الله ومن وصلها وصله الله والله لا يخلف الميعاد.

فمن واجبنا -نحن التلاميذ- وكل المسؤولين ان نعلّم اخواننا المسلمين كيف يجب عليهم مواصلة ارحامهم، وكيف يحسنون المعاشرة فيما بينهم وبين ذويهم وما وعده الله للقائمين بهذه الواجبات الانسانية. ونحذرهم كذلك من مغبّة قطع الارحام وتفريق وحدة المسلمين وما يترتب عليهما من الندم والخسران في هذه الدار وتلك الدار الآخرة. وفي الحديث : إن رحمة الله لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم). رواه الاصبهاني. وقال عليه السلام : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). متفق عليه عن ابن عمر، فالسعيد من لم يكن سبباً للتفريق بين الأمة، او لادخال العداوة بينهما. ويقول الرسول ﷺ:(أيما رجل قام يفرّق بين أمتي فأضربوا عنقه). ويقول أيضاً:(الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها). رواه الديلمي. هذا وما دمنا في موضوع صلة الرحم فمن المناسب ان نورد هنا مسألة برّ الوالدين ووجوب طاعتهما والاحسان إليهما قولاً وفعلاً والدعاء لهما في حال الحياة

وبعد الوفاة، لانهما سبب الوجود وسر الحياة، وخاصة اللذين ربَّياك تربية اسلامية. فعقوقهما من الكبائر التي يترتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحثك على عقوقهما ومقاطعتهما إلا عدوُّك الذي ينتهز فرصته ليختلس ما لديك ثم يتبرأ منك يوم تقف بين يدي الله تعالى .

وهناك من افراد الوهابيين من يعقّ والديه ويعتبرهما مشركَين لا لشيء سوى انهما لم يستسلما للدعوة الوهابية، أولم يقبضا أيديهما في الصلاة، ولا يراعي فيهما حقوق الابوة ولا يؤدي لهما واجب النبوة، وهو يعرف ان أباه هو الذي أخذه بيده وهو صغير وذهب به الى المعلّم ليعلّمه مبادئ الاسلام وشرائع الدين، فلما كبر هذا الولد المسكين «وتوهّب» أبى الا ان يسمى اباه هذا مشركاً عازماً ان لا يعامله الا بقدر ما يجوز التعامل به بين المسلم والمشرك.

وصار - بهذا القرار - ناسياً او متناسياً كل ما قدّم له هذا الوالد من عناية ورعاية، وحنو أيام مهده وصباه. وقد أنساه شيطانه أنه لو ذهب به أبوه يومئذ الى الكنيسة لصار رهبانياً، أو الى الكاهن لكان ساحراً عليما . فاذا كان هذا هو جزاؤك لوالدك ايها الولد، فأين جزاء الاحسان بالاحسان؟

هذا ولا شك ان هناك أيادٍ مجرمة تحركهم من تحت الستار، وتشجعهم على المضي بما هُمْ عليه من العقوق والتقاطع مع آبائهم وذويهم، وتزيّن لهم سوء أعمالهم هذه بأنها نوع من الجهاد، وأنها من امتثال أوامر القرآن حيث يقول الله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ

أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[المجادلة : ٢٢].

فاتقو الله ايها الأولاد واذكروا قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الاسراء ٢٣].

وقوله عليه السلام : (الجنة تحت أقدام الأمهات) رواه الحاكم وصححه.

خاتمة الكتاب

وفي الختام، أرجو من الاخوة الوهابيين سامحني الله واياهم ان يرجعوا عن الانكار بما لم يحيطوا به علماً، وان يبادروا الى التوبة بالندم على ما فات. قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، وان يجتنبوا سوء الظن باخوتهم المسلمين. قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم ٣٢].

وقال: رسول الله ﷺ: (المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده). رواه أحمد عن ابي هريرة. وقال ايضاً: (طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس). اخرجه أبو نعيم.

هذا ولا بد من النهي عن المنكر اياً كان مصدره لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران ١٠٤].

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (من رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان). رواه مسلم والترمذي.

ولكن يجب التمييز بين كبائر الاثم وصغائر الذنوب، وبين ما يؤدي الى الشرك وما يفضي الى الحرام، ولا يجوز تكفير المذنب ولا تحريم المكروه، وقد جعل الله لكل شيء قدراً وهو سبحانه وتعالى المحلّل والمحرم، وليس لاحد تغيير احكامه، ولا تعدية حدوده، وإنما عليه وضع النقط على الحروف قال تعالى : ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقال : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق : ١].

وعلى ضوء هذه الآيات البينات والاحاديث النبوية الشريفة، نوجّه نداءنا الى قادة الامة من العلماء والحكّام وجميع اولياء الامور بصفة عامة، ان يشاركوا في انقاذ هذه الامة التي تكاد تفقد دينها ودنياها وكل شرفها ومعنوياتها. فعليهم ان يوحّدوا صفوفهم ويضاعفوا جهودهم ويعملوا لتحقيق فرص التفاهم والتآلف بين جماهير المسلمين. ويتعين على هؤلاء القادة أينما كانوا ان يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حلٍّ الخلافات والمشاكل القائمة - اليوم - بين افراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للدين والوطن والانسانية جمعاء.

ومعلوم بالضرورة ان الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون والعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت الى درجة تكفير المسلمين بعضهم بعضاً مثلما حدث فعلاً من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين

تضررت بهم الاخوّة والدين والأرحام معا.

وحبذا لو تدخلت الحكومات بصورة جدية في شأن هذه النزاعات اللاشرعية، ووضعت حداً نهائياً لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقاً لقوانين الشريعة الاسلامية التي يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بأيدٍ من حديد على أيدي اولئك المجرمين الذين يسعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتها نحو حل هذه الخلافات، فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسينتهي الأمر الى حروب أهلية لا محالة.

ويتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمربين وجميع الائمة والوعاظ، ان يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه الغاية النبيلة، ويعلّموا أتباعهم وتلامذتهم ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضاً. وان يلازموا الحذر كي لا يتخذهم الشيطان وسيلة للتفريق والقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم ان يقدّروا هذه المسؤولية الجسيمة التي وضعها الله على عواتقهم، والتي هم مسؤولون عنها امام الله. قال رسول الله ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). متفق عليه، وذلك ما نريد ان يفهمه ايضا قادة الوهابية ليساعدوا الامة الاسلامية على جمع كلمتها وحماية وحدتها بدلاً من اثارة الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين.

وهذا ما تيسر لنا جمعه من هذه المسائل، على اننا لم نقدر بل ولم نحاول ان نستوعب جميع ما تتطلبه هذه المواضيع من الشرح الطويل والبحث الدقيق، وانما هو امتثال فقط للأمر بوجوب النصيحة وايمان بان الذكرى

قد تنفع المؤمنين .

وفي الختام نتجه الى الله القدير قائلين اللهم أيِّد الاسلام واجمع كلمة المسلمين، ووفقهم لرؤية الحق حقاً وأعنهم على اتباعه، ولرؤية الباطل باطلاً وأعنهم على اجتنابه، اللهم انت الشاهد وكفى بك شهيدا إنْ اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، سبحان ربك رب العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تقاريظ العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفة عرضناها على كثير من علمائنا المتفقهين وأساتذتنا المثقفين في مختلف الاماكن والاوطان، وطلبنا منهم ان يبدو بآرائهم وملاحظاتهم -وانتقاداتهم- بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفة وعباراتها، ورجونا منهم كذلك ان يساعدوا على تصحيح ما يصدر فيها من الخطأ والهفوات.

وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا وتحقيق رجائنا حيث قاموا بمراجعتها وتصحيحها مرّات عديدة، وأدخلوا فيها مزيداً من التغييرات والتعليقات تتطلبه الحاجة ويقتضيه الموضوع، وأخيراً أعربوا جميعاً عن استحسانهم بهذه المؤلفة وتأييدهم لها.

ونحن اذ نحمد الله تعالى في البَدْءِ والختام فلا ننسى ان نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا.

في تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعاً بلغ الغاية .

ولا أَدَلَّ على ذلك من هذه التقاريظ التي كتبوها بمحض ارادتهم، وبعثوها إلينا من مختلف المدن والجمهوريات، وفيما يلي نص تلك التقاريظ على التوالي:

حضرة الاخ الحاج مالك به : إنني راجعت الرسالة من أولها الى آخرها كباحث ومتفقد حرفاً حرفاً بل جملة او كلمة، فوجدتها صحيحة وموافقة للموضوع الذي قمتَ لسببه وهو الرد على الوهابية. فكلمات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين .

فأرجو من الله تعالى ان يزيدك فهماً، وان يعينك على الاصلاح ما استطعت، وان يجعل مثواك غداً مع الابرار وان يغفر للمسلمين أجمعين .

من الاخ ابي بكر حجتي
مدير مدرسة «سبيل الديانة» موبتي جمهورية «مالي» mali

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فليعلم الواقف على هذه الورقة أني قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحاً فوق الغاية، مكتوبا بقلم الفصاحة والبلاغة والادب، بل هي جريدة حسناء بلغت الغاية في الجمال.

فجزاك الله عن الاسلام خير الجزاء، وأدام شمس سيادتك العليّة، ورعاك بعين رعايته من حاسد اذا حسد، والحمد لله على التمام ودمتم بخير وعافية

الكاتب عثمان عبد الله سكلي
المدّرس في مدينة سنس عبد الله عصمه الله
جمهورية «مالي»

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن مدينة تمباكندا – بالسنغال – بعث إلينا الاستاذ جيران الحسين جاكو بهذا التقريظ القيم استهله بقوله :

قال الحسين بن محمود جاك : شهدت بالله لله في الله بانك جاهدت جهدك في سبيل الله، جزاك الله عن الاسلام خيراً من اجل كتبت الحروف بقولي :

الحاج مالك به أفضى برسالة … للرد والتحقيق بل لتودد
فبخ بخ لرسالة موسومة … بعناية من فيض جود محمد
برواية منقولة من سنة … ودراية ومواهب من ماجد
اسناده اي الكتاب المحكم … فجزاه ربي باجزاء الأمجد

فغرور والمغرور كل سادم … فرح الغيور لصَوْن سنة أحمد
دُم باحثاً متضلعاً متورعا … متجاهداً حتى تلاقي احمد
صلى عليه الله ما دام اهتدى … يهدي إليه هداة دين محمد
والآل والأصحاب مع ازواجه … ومن انتمى يوماً الدين محمد

الحسين بن محمود جاك

الخطيب الاسلامي بدار الاذاعة الوطنية

«تمبا كندا» جمهورية السنغال

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الاسلامية الموريتانية وصلنا التقريظ التالي الذي بعثه إلينا زميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم وهذا نصه : الحمد لله الذي قدّر فهدى والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ﷺ وبعد: ان الاخ المسلم والصديق الملهم السيد الاستاذ الحاج مالك به جدير بأن يكتب اسمه مع اسماء العظماء الذين ناضلوا وضحّوا بأرواحهم وهدروا دماءهم الغالية للحق ومن اجل الحق .

وان هذا التأليف لجدير ايضاً ان يُكْتَبُ بماء الذهب والفضة واني اقسم بالله : قد وضعتَ النقاط فوق حروفها وقد امطتَ اللثام عن حركات المشبوهين لدين الله والذين جاؤوا بالبدع وكفّروا كل من خالف بدعهم واهواءهم الفاسدة والله وقد زادوا الطين بلة لمخالفة رؤساء الاسلام في مسألة الاغاثة، واخطأوا في التقدير رغم اجتهادهم في الدين وكلمة التوحيد، أقال الله عثراتنا وعثراتهم .

وانا لنشكر الله عز وجل ثم نشكر الاخ على نصحه لجميع المسلمين، سدّد الله خطاك أيها الأخ المسلم ويبارك فيك وفي قلمك الميمون.

هارون موسى جل
معلّم القرآن الكريم في مدينة كيهيد
ج الاسلامية الموريتانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ولمّا وقف على هذه المؤلفة الشريفة المريد الحقير عبد العزيز المنصور ابن الحاج يوسف صمب الله دارمي قال في مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة والاضطراب هذه الأبيات :

لله دَرُّ فتًى اتى برسالة — من بحره المزخار ذات دلائل
عذراء لم تسبق بميدان الحمى — ردت دعاوى كل أحمق جاهل
يا مالك العالمين ظهير باطن — ابشر فسعيك واصل للعادل
صنت الطريقة اهلها بردودها — من مكر شرذمة بعزم مناضل
نرجو بك النصر المبين لنهجنا — لطريقة القطب الشهير الواصل
اعطاك ربك مبتغاك بهذه — وبتك بالهادي الأمين الفاضل
عبد العزيز كتبتها بعجالة — إذا في القطار يقوني بمتمايل[1]
اني احبك في الآله وأحمد — ختم الرسالة والولاية عامل

الاستاذ عبد العزيز دارمي إمام الجامع
في مدينة ينقام جمهورية سيراليون

(١) لقد كتب سيادته هذا التقريظ ونحن على متن القطار بين مدينة خامي وبمكو العاصمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب على عبده، وجعله منهاجا لكل عابد أوّاب وامره فيه بان يدعوّن إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ {النحل :١٢٥}

والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل (نصر الله امرءاً سمع منا فبلّغه كما سمعه).

فَرُبَّ مبلّغ أوعى من سامع سيدنا محمد الهادي الى صراطه المستقيم وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم .

وبعد : فقد اطلعت على – تأليف اخينا في الله الاستاذ الاديب الاريب الذي أنار الله عقله لخدمة الاسلام والمسلمين السيد (بالحاج مالك) ابقاه الله مناراً لكل سالك، فوجدته مع صغر حجمه احسن وافضل كتاب الف في هذا الجانب ولم أتمالك نفسي ان قلت موجزاً:

تبلّج نور في ظلام جهالة ... مبيناً لنا حقاً منار الطريقة
فبدد أوهام الضلال التي بها ... يضلّل بعض المدّعين لسنة
على يد شاب مسلم متورع ... فقيه نزيه ذي تقى ومروءة

عنيت به شمس الهداية مالكاً ... حباه الاله نيل افضل منية
فلله دره فتى متشمرا ... لنصرة دين الله في كل خطة
ابان لمن رام السعادة والرضى ... سبيل الهدى مُستَسْهِلاً كل صعبة
اضاء لنا نهج الحقيقة واضحا ... وابدى لسالك بكل نصيحة
تفيض العلوم من يديه غزيرة ... ويرشد جاحداً بأوضح حجة
اتى بعجيب حين عبّر معلنا ... حقائق تزري للدعي بحكمة
حقائق اسلامية تزهق باطلا ... بنص صريح من كتاب وسنة
حقائق تمحى عن بذاءة جاهل ... ظلوم كذوب ناسخ للشريعة
ولن يجعل الله السبيل لظالم ... على مؤمن صوناً لأفضل بلومه
فيارب وحّد بين كل الطوائف ... على الحق حتى لا تبالي ملة
دعواك ربي ان تمنّ لعصرنا ... بامثاله حتى نفوز بوحدة
فيارب جازه على ما اجاده ... وابذل له عما هفا بفضيلة
وسامح لمحمود وبلّغه للمنى ... ووفر له فيضاً باحسن فيضة
وعمّم لكل المسلمين برحمة ... تدوم عليهم من ذكور ونسوة
وصل على الهادي الكريم وآله ... واصحابه دوماً الى يوم بعثه

ونرجو الله ان تكون هذه نقطة بداية، ينطلق منها ابناء بلادنا المثقفون المخلصون لدينهم الى تمحيص عقيدة الاسلام من الخرافات والأوهام التي يروّجها الانتهازيون الذين ينتحلون اسم الدين سعياً وراء اغراضهم الشخصية نسأل الهداية والتوفيق انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

الفقير الى الله محمود سليمان بوصو

المدرّس بمدرسة الهدى الله«ص.ب: ١٨٣٦ باماكو

جمهورية مالي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أسدى جلائل الايادي، واسدل بسط العلم على من حباه من الحواضر والبوادي. وحصر مذاهب الأئمة الاربعة والطرق الصوفية في الكتاب والسنة. وجعل مقلديهم من خيرة اهل السنة والجماعة وصلاةً وسلاماً على مظهر الحقيقة والحق سيدنا محمد ناصر الحق بالحق.

وبعد، وانني لمّا من الله عليَّ بمطالعة ما ألفه صديقنا الصفي وحبيبنا الروحي السيد الحاج مالك به، ونظرت إليه بعين التأمل والإنصاف فوجدته صحيحاً للغاية، فحق أيم الله لكل مقلد للامام مالك ولكل منصف سبيل القصد سالك . أن يستشهد عند وقوفه على ما اوتي مؤلفه من المعارف، والمدارك بقول جمال الدين الامام مالك حين قال : واذا كانت العلوم مِنَحاً اهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين، وأرجو ان يجادل عنه الامام ﷺ في دار البقاء جزاءً بمجادلته في دار الفناء. وان يكف عنه اكف القابضين، ويقطع بسيف تحقيقاته رقاب ذوي التنطع الغالين، بجاه سيد الأولين والآخرين.

والحمد لله رب العالمين

عثمان بن عبد الله بقادو

مدرس القرآن الكريم في مدينة قد بتبي ثيتور ج. مالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يهدي من يشاء الى الاسلام، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ايها الاخوة الاعزاء أبلغكم التحيات الطيبة بلا حد وبعد: رأيت إماماً من الوهابيين في موضع الوعظ في مدينة يوبو جلستُ وسمعت وعظه، وبعد فراغه منه اتيته وقلت له : ايها الامام انت وجماعتك كلكم في ضلال مبين، فغضب عليّ وقال لي: كيف تقول هذا القول؟ فأجبته قائلاً : قد استلمت كتاباً من تركيا يُسمى بـ (علماء المسلمين والوهابيون) عندما قرأت هذا الكتاب عرفت انكم في ضلال مبين

فقال لي : اريد أن اقرأ هذا الكتاب، فأعطيته له وقرأ الكتاب بتمامه في ثلاثة ايام. فرد عليّ الكتاب وقال لي: ما اسمك يا عزيزي، فأجبته بأن اسمي غامسوري عمر، فقال: قد صدقت يا عمر، وعرفت الآن اننا كنا في ضلال مبين واترك انا واهلي هذا الطريق الباطل، واتوب الى الله تعالى توبة نصوحاً واخذ يأتيني حينا فحينا ويشكر لي في كل فرصة، فأهديت له ذلك الكتاب مع كتاب (مفتاح الفلاح).

ونشكر لكم شكرا جزيلا وندعو لكم سعادة الدارين ونطلب منكم الدعاء وارسال مجموعة من الكتب التي طبعتها مطبعة الاخلاص. وفي ختام رسالتي احمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم في الله

غامسوري عمر احمد ابن ابي الضياف

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفهرس

دار الحرمين الشريفين العالمية
القاهرة